

الإمام الخميني قدوة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

(الإمام الخميني قدوة): إنه عنوان جامع لا يحتاج إلى توضيح؛ إنه (رض) قدوة في سلوكه الأخلاقي الرفيع، وفي سلوكه الاجتماعي الواعي، وفي قيادته الحكيمة، وفي عبادته المتفانية حباً في الله، وفي وعيه السياسي الواسع الأبعاد. نعم إنه قدوة وكفى..
فلنعش مع بعض جوانب حياته المملوءة بالدروس والعبر ولنقتد بسيرته الحميدة المعطاءة.
والله الموفق.

الفصل الأول

لمحة عن عبادة الإمام ومؤلفاته

سماحة السيد أحمد الخميني

عبادة الإمام وعرفانه

ليست عبادة الإمام وارتباطه بالله من الأمور التي أستطيع وصفها، وقد اتصلت - قدر استطاعتي - بأصدقاء أبي، وسألت والدتي حول هذا الموضوع، فأجمعوا على أن الإمام كانت له علاقة خاصة بالله وأنه فان في الله، ويتحدث عن معشوقه (الله) بشكل يقف له شجر المرء، وأحياناً حين يأتيه المسؤولون أوقات المصائب والمشاكل يتكلم عن الله وكأنه لا يرى أحداً غيره. إنه يقول: (لا تخافوا فإن الله معنا)، وهو متيقن من صحة قوله هذا، معتمداً على الله وشعاع نور الإيمان في قلوب الحاضرين، وليس من فضول القول أن يصفه أصدقاؤه بـ (العابد الزاهد)؛ فصلاته في جوف الليل ودعاؤه وبكاؤه وأنيته وقت السحر كلها تبكي المرء رغماً منه.

لقد بدأ الإمام أيام الحرب العالمية الأولى دراسة (منظومة السبزواري) واستغرق ذلك سنتين، ثم بدأ دراسة الأسفار، وبعد عدة أيام وجد أنه يستطيع - لوحده - قراءتها وفهم مواضيعها، ولا يحتاج في ذلك إلى أستاذ، لذا شرع في دراسة الأسفار، وفي هذه الأثناء وفد المرحوم آية الله الشيخ الشاه آبادي إلى قم. ويقول الإمام بهذا الصدد:

"لقد التقيته (الشاه آبادي) في المدرسة الفيضية وسألته مسألة عرفانية، وعندما بدأ الحديث عرفت أنه من أصحاب الخبرة في هذا المجال، فقلت له: أريد أن أدرس عندك. فقبل بذلك، بعد إصراري، ولكنه فهم أنني أريد دراسة الفلسفة فقلت: لقد درست الفلسفة، وما أتيتك من أجل دراسة الفلسفة، بل أريد دراسة

العرفان، فأبى ذلك، ولكن بعد إصراري وافق على تدريسي "شرح الفصوص".

فسألت الإمام: كم شخصاً كنتم؟ فأجابني: "عندما كان يزداد عددنا كنا ثلاثة، ولكن في أكثر الأوقات كنت أدرس العرفان لديه وحدي". فسألته: وهل درست درساً آخر لدى الشيخ الشاه آبادي؟ فقال: "درست عنده في أيام العطل وأيام الخميس والجمعة (مفاتيح الغيب). وفي الوقت نفسه الذي كنت أدرس لديه شرح الفصوص ومفاتيح الغيب كتبت حاشية على مفاتيح الغيب". فسألته: وأية كتب أخرى درست لدى الشيخ الشاه آبادي؟ فقال:

"كتاب (منازل السالكين)". فقلت: وكم شخصاً كنتم؟ فأجاب: "كنت لوحدي، وربما جاء شخص أو شخصان آخران أحياناً، ولكنهم كانوا يذهبون بعد حين". سألت الإمام: كيف كان (الشيخ الشاه آبادي)؟ فأجاب:

"لقد سألته مرّة: إنّ دروسك التي تلقيها لا توجد في الكتب، فمن أين تأتي بها؟! فأجابني: هناك من يقولها. - يعني: أنها من عندي -". ثم أضاف الإمام: "إنّ له حقاً كبيراً عليّ، وقد كانت له خبرة كاملة سواء في الفلسفة أو العرفان".

ولربّما - والكلام للسيد أحمد - لا يوجد عندنا اليوم من له إحاطة بعلم العرفان كالإمام. ثم سألت الإمام: كم سنة درست العرفان عنده؟ فأجاب:

"لا أتذكر بالضبط، ولكنّها استغرقت من خمس إلى ست سنوات، بيد أنّ الشيخ الشاه آبادي يختلف في تدريسه "شرح الفصوص" عن شرح فصوص القيصري، فقد كان يضيف عليه كثيراً من التعليق والشرح".

كانت هذه عبارات قالها الإمام وكتبتها بنفسي.

مؤلفات الإمام

سألت الإمام: ما هو أول كتاب كتبتهم؟ فقال:

"أظن أن أول كتاب لي أو من الأفضل أن أقول إن أول شيء كتبتّه كان "الحاشية على رأس الجالوت"، وبعد ذلك كتبت شرحاً مستقلاً لهذا الحديث، وكان بعد ذلك الدراسة عند الشيخ الشاه آبادي. عندما جاء الشيخ الشاه آبادي إلى قم لم أكن متزوجاً، وبعد الزواج واصلت دراستي عنده".

وسألته: كما أعرف أنك كتبت في السابعة والعشرين من عمرك كتاب (مصباح الهداية) وهو كتاب عرفاني، وفي التاسعة والعشرين كتبت شرحاً لدعاء السحر، ويقول بعضهم إنك لم تكن متزوجاً حين ألفت كتاب "الأربعون حديثاً" الذي تخصّ سبعة أحاديث منه المسائل العقلية، وثلاثة وثلاثون الأخلاقيات.

قال: "لا أتذكر بالضبط، ولكن في تصوري أنني كتبت حاشية رأس الجالوت وشرحه أولاً، ثم أضاف: ولكن يمكن أن يكون الأمر كما تقول".

فسكت لأن المشاكل لم تكن تسمح بالكلام أكثر، ولكني أعتقد أن أول كتب الإمام كتاب "مصباح الهداية" وثانيها "شرح دعاء السحر" والثالث كتاب "الأربعون حديثاً"، وكتاب "رأس الجالوت" كان بعد وفاة المرحوم الشيخ الشاه آبادي. ومن المؤكد أنه دون بعد زواج الإمام، ولأن زواج الإمام كان في الثامنة والعشرين من عمره، والمؤكد أن الإمام قد ألف كتاباً في السابعة والعشرين فأَي كتاب كان؟ لا أحد يعرف ذلك.

أما "حاشية فصوص الحكم" و"الحاشية على مفتاح الغيب" فمن المؤكد أنه كتبهما بعد الدراسة عند الشيخ الشاه آبادي، و"أسرار الصلاة" أو "معراج السالكين" كتبه بعد الدراسة عند المرحوم الحاج ميرزا جواد الملكي التبريزي، الذي كان يدرس الأخلاق في المدرسة الفيزية، وسمعت أن المرحوم ميرزا جواد الملكي كان يلقي دروساً حول هذا الموضوع، ولكنها لم تخص (سر الصلاة). وقد كتب الإمام "رسالة الطلب والإرادة" حين كان يدرس الأصول.

أما "كشف الأسرار" فله قصة مستقلة، ويقول الإمام بهذا الصدد: "كان الحاج الشيخ مهدي

القمي من علماء قم، وكان له ولد انحرف واعوج فألف كتاباً سماه "أسرار ألف سنة" أهان فيه الإسلام إلى حدّ ما، ولا أتذكر تماماً في أي مجال كان، ولكنني كتبت رداً على ذلك الكتاب، وأسميته "كشف الأسرار"، حيث كان كشافاً لـ "أسرار ألف سنة" الذي كتبه ذلك الرجل.

وأضاف الإمام: "كنت ألقى الدروس، وحين رأيت كتاب "أسرار ألف سنة" قررت أن أكتب رداً عليه، فعطلت دروسي شهراً أو شهرين وكتبت هذا الكتاب".

فقلت له: هل تبدو غاضباً في هذا الكتاب؟
أجاب: "لم تكن أنت موجوداً في ذلك الحين لتري أية إهانات كانت قد وجهت للإسلام!"

مؤلف آخر من تأليفات الإمام هو "حديث جنود العقل والجهل"، وهو حديث في كتاب "الكافي" للكليني، ذكر فيه - كما أظن - سبعين من (جنود) العقل وسبعين من (جنود) الجهل، شرحها الإمام جميعاً.

"آداب الصلاة" تأليف آخر للإمام يشرح فيه ما يجب عمله عند الصلاة، ثم يتطرق لسور الحمد والتوحيد والقدر، وهو كتاب عرفاني كسائر كتب الإمام التي هي إما عرفانية أو ذات نكهة عرفانية قوية جداً.

ومن مؤلفات الإمام "الرسائل" حيث لم يطلق عليها الإمام هذا الاسم، ولكنها إذ تشمل على قاعدة (لا ضرر ولا ضرار) والاستصحاب والتعادل والتراجيح والاجتهاد والتقليد والتقية، فقد سميت بهذا الاسم، وهي في مجلدين.

ومن تأليفاته الأخرى كتاب "تحرير الوسيلة" الذي يعتبر دورة فقهية مع مسائل مستحدثة طرحها الإمام، وقد بدأ بهذا الكتاب في تركيا وأتمه في النجف حيث كتب الإمام - في هذا الكتاب - حواشيه على نص كتاب (وسيلة النجاة) لآية الله السيد أبو الحسن الاصفهاني وأضاف إليه مسائل كثيرة. ولهذا الكتاب قصة، وهي أنه لما طبع في النجف كان قد كتب عليه (تأليف زعيم الحوزة العلمية في النجف) فاعترض الإمام على ذلك بشدة، وأمر بإرجاع جميع النسخ إلى

المطبعة ومحو هذه العبارة، مع أن كتب المراجع تُنشر مع هذه الألقاب، وهو أمر عادي تجاه شخص كالإمام، ولكن سماحته يتأثر من هذه الأمور، ولا يمكن توقع غير هذا من قائد الثورة الإسلامية. وقد طُبِعَ هذا الكتاب لحدّ الآن مرات ومرات وطُبِعَت أيضاً عدة شروح كتبها الرجال العظام عليه. وحين طُبِعَ هذا الكتاب طُبِعَ بأسماء مختلفة مثل (كتاب الفقه) أو (الوسيلة تأليف آية الله الأصفهاني).

تأليف آخر من تأليفات الإمام، كتاب "البيع" الذي يحوي دروس الإمام، التي ألقاها - طوال مدة خمسة عشر عاماً - في النجف، والذي طبع في خمسة مجلدات، طبع المجلد الخامس منها في إيران بعد الثورة.

أما كتاب "الطهارة" فيشمل بحوث الإمام في قم حيث طبعت منه ثلاثة مجلدات.

أما "الحكومة الإسلامية أو ولاية الفقيه" فهو مجموعة تضم (16) درساً من دروس الإمام التي ألقاها في الحوزة العلمية في النجف، وعندما شرع الإمام في بحث ولاية الفقيه بدأ اعتراض الرجعيين في تلك الحوزة، فحركوا بعض الأشخاص لكي يترك الدرس عدد من الذين يحضرون هذه الدروس، وقد نجحوا في ذلك مع الأسف، إذ قال الإمام: إن بعضهم لم يحضر منذ بداية هذا الدرس وحتى نهايته لأنهم كانوا يعتقدون - حتماً - بأنه يجب أن يحكم الشاه وصادام وليس الإمام والمجتهد الجامع للشرائط، فكانوا يقولون: إن الحكومة ليست من شأن الفقيه! وكم لاقى منهم أصحاب الإمام الخُصّ من عذاب ومتاعب، وبدأت النزاعات فضايقوا الإمام وآذوه، ولكنه لو كان يمكن للإمام أن يعطل أعماله بسبب هذه الأمور لما انتهى به الأمر إلى النجف، ولترك الجهاد ضد الشاه ونظامه وهو في قم.

لقد سمع الإمام مثل هذا الكلام كثيراً، ولذلك فعندما كان أصحابه القليلون الصابرون والصامدون المخلصون ينفذ صبرهم وتعبهم الشتائم، كانوا يأتون الإمام ليستلهموا منه روحاً جديدة، فيقول لهم: عليكم بالاستمرار في

عملكم ولا تنصتوا لهذه الأقوال. إنكم مسؤولون، وواجبكم العمل وفقاً لمسؤوليتكم وتحمل الصعاب والشتائم بصدر رحب، من أجل خلاص المسلمين، وعليكم أن لا تتركوا عملكم الصالح مهما قالوا لكم ومهما ضايقوكم. فلن يكون ذلك بمقدار يوم واحد من الصعاب التي تحملها الرسول، فكان أصحابنا القليلون يعالجون قلة عددهم برفع عزائمهم، ويغادرون الإمام بإرادة من حديد.

وكان مما فعله الرجعيون في الحوزة - وهم موجودون الآن - إلقاء كتاب الحكومة الإسلامية في آبار النجف! ذلك الكتاب الذي كان يثبت أن الحكم لرسول الله والأئمة الطاهرين والعلماء الكرام الذين يملكون شروط خلافة أئمتنا العظام. وقد انتبه أصدقاؤنا في النجف إلى أن بعض الأشخاص كانوا يأتون إلى منزل الإمام ويطلبون كتباً قائلين إنهم يريدون إرسالها إلى البصرة أو بغداد أو المدن الكبيرة في العراق، وبعد ذلك لم يكن لتلك الكتب أثر في تلك المدن، فعرفنا بعد المتابعة والمراقبة أنهم كانوا يلقون بتلك الكتب في شط الفرات!

أنظروا إلى اللؤم واعرفوا في أي بيئة عاش الإمام خمس عشرة سنة، وظل راسخاً كالجبل وانتصر في النهاية. والمؤلم أكثر أنه كان بعض الأشخاص يسعى في أكثر المحافل والمجالس العلمية لإثبات أنه ليس للمجتهدين مثل هذا الحق، وأقسم بما تعبدون وما نعبد أنه عرف - فيما بعد - أنهم كانوا يتقاضون النقود من سافك الشاه. قسماً بالله إنهم كانوا من عملاء الشاه، ولكن أصحاب الإمام؛ هذه الفئة القليلة، انتصروا - أخيراً - على الفئة الكبيرة المناوئة، واستطاعوا إيصال الكتب التي طبعوها - بعد جهد كبير - إلى الدول العربية، كما رأينا وسمعنا أنه عثر في منزل الشهيد خالد الإسلامبولي المصري على كتاب "الحكومة الإسلامية" للإمام.

وفي الوقت نفسه قام أصحاب الإمام الموجودون بالآلاف في حوزة قم العلمية بطبع هذه الكتب وتوزيعها بكل قدرتهم، وحتى إن السيد لاجوردي مدعي عام طهران (سابقاً) باع الكراسات التي

تحتوي على هذه الدروس (دروس الإمام في الحكومة الإسلامية) في محله علناً، واعتُقل بعد ذلك.

لقد انتشرت هذه الكتب بسرعة البرق في جميع الحوزات العلمية والمحافل الدينية، وبذل المرحوم آية الله الرباني الشيرازي - أعلى الله مقامه - جهداً كبيراً في نشر هذا الكتاب. وما أحسن ما أدى أنصار الإمام في إيران رسالتهم مع وجود التعذيب والسجن والنفي.

ولقد نُظِم هذا الكتاب - بعد ذلك - وقُدِّم إلى الإمام، ثم طبع بشكل ملخص. وسوف أتكلم حول محتوى هذا الكتاب و"كشف الأسرار" وسائر تأليفات الإمام.

لقد راجعت "كشف الأسرار" مرة واحدة ووجدت فيه أموراً كرّهت أن لا أذكرها. إن هذا الكتاب شوكة بوجه الظلم والعدوان واللا دينية، ومع أنه كتب قبل أربعين سنة فهو يتمتع بطباعة جيدة قياساً مع الكتب والجرائد التي تعود لما قبل أربعين سنة، وإننا نقرأ في هذا الكتاب مواضيع نعلم منها أن الإمام كان - ومنذ ذلك الوقت - يفكر في إقامة الحكومة الإسلامية.

شكل الحكومة الإسلامية

جاء في الصفحة 138 من كتاب (كشف الأسرار) ما يلي:

"إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَشِيرُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ {أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرُّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ} إِلَى تَشْكِيلِ الْحُكُومَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ حَتَّى يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَوَاضِحٌ جَدًّا أَنَّهُ لَمْ يُوجِبْ حَاكِمِيَّةَ أَحَدٍ غَيْرِ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ، وَلَأنَّهُ أَوْجِبَ عَلَى جَمِيعِ أَفْرَادِ الْأُمَّةِ طَاعَةَ أُولِي الْأَمْرِ فَإِنَّهُ يَجِبُ الْبَحْثُ حَوْلَ مَنْ هُمْ أُولُو الْأَمْرِ.

إِنْ بَعْضُهُمْ يَقُولُ: إِنَّهُمْ الْمُلُوكُ وَالْأُمَرَاءُ! وَإِنْ اللَّهَ أَوْجِبَ عَلَى النَّاسِ طَاعَ سُلَاطِينِهِمْ وَمُلُوكِهِمْ! وَهَذَا نَحْنُ نَحْتَكِمُ إِلَى الْعَقْلِ الَّذِي وَهَبَهُ اللَّهُ لَنَا.

إِنْ إِلَهَ الْعَالَمِ أَرْسَلَ نَبِيَّ الْإِسْلَامِ بِآلَافِ الْأَحْكَامِ السَّمَاوِيَّةِ، وَوَضَعَ أَسْوَاسَ حُكُومَتِهِ عَلَى مَبْدِئِي التَّوْحِيدِ وَالْعَدْلِ. هَذَا إِلَهُ نَفْسِهِ الَّذِي قَوَّى أَسَاسَ الْعَدْلِ فِي الْعَالَمِ بِتَضَحِيَّاتِ الْمُسْلِمِينَ، وَمَنْعِ الْمَظَالِمِ وَانْتِهَاكِ الْعِفَّةِ؛ فَهَلْ يَأْمُرُ النَّاسُ بِأَنْ يَطِيعُوا

أتاتورك الذي يعرف جميع الناس ماذا فعل بأصحاب الدين وكيف ظلم الناس؟! أو يأمر بطاعة بهلوي الذي رأيت جميعاً ماذا صنع؟! والذي لو أراد أحد أن يعد مخالفاته الصريحة لله والقرآن فإنه قد يحتاج إلى كتاب.

إن هذا الإله الذي وضع أسس الدين والعدل ويأمر بنفسه بهدم هذا البناء، لن يقبله العلماء إلهاً عادلاً وقاسطاً، وإن مقام الألوهية منزه عن هذه الأعمال التافهة".

وبعد هذا الموضوع ومواضيع كثيرة أخرى يقول في الصفحة (281) :

"إن الحكومة الوحيدة التي يعتبرها العقل حكومة الحق ويقبلها بيسر وطمأنينة هي حكومة الله. إننا لا نقول إن الحكومة لابد أن تكون للفقير، بل نقول إن الحكومة يجب أن تدار بالقانون الإلهي الذي فيه صلاح البلاد والعباد، وهذا لا يتحقق دون إشراف عالم الدين".

هذا هو كلام الإمام قبل أربعين سنة. وفي باريس وفي مقابلاته جميعاً وحينما يُسأل: ماذا تعني الجمهورية الإسلامية؟ هل تعني أن يكون العلماء في رأس النظام؟ كان يقول بشكل قاطع: "الجمهورية الإسلامية تعني الجمهورية التي تقام بالاستناد إلى آراء الناس، ولكن محتواها إسلامي مئة في المئة".

وقال في بعض مقابلاته: "إن الإشراف لعلماء الدين"، وقال في بعضها الآخر: "إننا لا نريد أن يكون العلماء على رأس الحكومة، كلا بل العلماء مراقبون حتى لا يحصل ما يخالف الإسلام".

وهنا برز سؤال يقول: "لماذا - إذن - أصبح العلماء على رأس الحكومة، فرئيس الجمهورية عالم وبعض الوزراء علماء؟".

وقد أجاب الإمام عن هذا السؤال: "انظروا إلى الحكومة المؤقتة، حيث لم يكن فيها عالم واحد، حتى وزارة الإرشاد أعطيت لغير العالم. لقد كان هذا العمل نتيجة للتفكير الذي كان سائداً في باريس، ولكننا رأينا - بعد ذلك - أنه لم يحصل ما أراده الناس ونحن وهو؛

تطبيق الشؤون الإسلامية مئة في المئة. لقد قلنا إننا لا نعين عالم الدين على رأس الحكومة، ولكن ليس بشكل مطلق، أي حتى لو كان غير العالم لا يؤمن بالإسلام فنحن نقبله! كلا إننا حين يكون العالم وغير العالم متساينين في جميع الأنحاء نفضل غير العالم في الأعمال التنفيذية على العالم، ولكننا رأينا أن غير العلماء لا يعملون بالإسلام بتلك الدرجة المطلوبة، وفي هذه الحالة لا يجيز لنا الإسلام هذا العمل ولا الشعب المسلم في إيران. فضلاً عن ذلك، أنني كنت أقول هذا الأمر حول الحكومة وأقوله الآن حول القضاء، والذي يجب أن يكون للمجتهد العادل. أما مجلس الشورى فإن الناس هم الذين ينتخبونه، وأقول أيضاً إنه حتى في هذه الحكومة فإن وزيري الداخلية والإرشاد معلمان فقط، بالإضافة إلى ذلك يجب أن لا تكون العمامة سبباً في منع تعيين شخص لأداء عمل يليق به".

قراءة في (كشف الأسرار)

إننا نواجه في مواضيع "كشف الأسرار" المختلفة هجمات شديدة جداً ضد حكومة رضا خان، ويجب ألا ننسى أن العلماء لم يكونوا يهتمون قبل أربعين سنة بهذه الأمور. وقد تطرق الإمام لهذه الأمور في زمان كان فيه كثير من العلماء يحرم التدخل في هذه الشؤون، وليس فقط في ذلك الوقت بل حتى حينما شرع الإمام في نضاله - أقصد عام 1342 هـ. ش (1963م) -؛ ففي ذلك الوقت قال بعض من لا يؤمنون بالله إن الإمام ليس من العلماء ولا من حوزة قم العلمية. جاء في "كشف الأسرار":

"إننا نقول: إن الحكومة التي مزقت بستين رصاصة وحربة أجساد عدة آلاف من مظلومي البلاد في معبد المسلمين الكبير، وفي جوار الإمام العادل، هي حكومة الكفر، وإعانتها تعني الكفر وأسوأ منه.

إننا نقول: إن الحكومة خالفت قانون البلاد، وقانون العدل، وأطلقت مجموعة من المجانين المفترسين تحت اسم الشرطة في كل مدينة وقرية،

ليعتدوا على النساء المسلمات العفيفات
البريئات، ويكشفوا حجابهن بقوة الحراب،
ويرفسوا المحترمات، ويسقطوا أطفالهن
المظلومين، ولذلك فهي حكومة ظالمة وإعانتها
تعدل الكفر.

إننا نعتبر الحكومة الدكتاتورية ظالمة
وعملاءها ضالين وجائرين، وكل من يحترمهم فلا حظ
له من الشرف والإنصاف، وتلك الجرائد التي تؤيد
الأعمال الظالمة للدكتاتور الهارب فهي تساعد
المبادئ الوحشية الدكتاتورية، ويجب إحراق
أوراقها في الميادين".

وجاء في موضع آخر من كشف الأسرار:
"إن تلك الكلمة غير المعقولة التي ترشحت من
دماغ جندي أمي "رضا خان" قد أصبحت بالية
وقديمة، وإن قانون الله فقط هو الذي سوف يبقى ولا
يبدل بمرور الأيام".
وجاء في موضع آخر:

"إن من قال: إنني أفضل الجندي اللص على
جميع شخصيات إيران، لا يعرف من هم العلماء
والشخصيات، ومع أن شخصيات ذلك الزمن "زمان
رضا خان" كانت أقبح كثيراً من جندي لص، لكن
رضا خان لم يكن يفهم الصلاح والفساد، ولم تكن
ضغوطه على العلماء من أجل الإصلاح، بل كان بصدد
اقتلاعهم من الأساس".

وجاء في جانب آخر من "كشف الأسرار":
"إن العلماء اعتبروا - ومنذ تلك الأيام
الأولى - تصدي رضا خان "للحكم" مخالفة لمصالح
البلاد، وكانوا - قدر استطاعتهم - يفضحون
الأعمال الفاسدة المخربة على رؤوس الأشهاد، وإن
لم يستطيعوا فبشكل خاص وسري".

وفي جانب آخر من "كشف الأسرار" هاجم الإمام
صحف تلك الأيام ومجلاتها قائلاً:

"إن الأقلام والأوراق المخربة التي كانت في
ذلك الزمان تنشر أفكار رضا خان وكلماته غير
المعقولة المسمومة، كانت أشد وخزاً بمئات
المرات من وخز أبر الأحمديين - أتباع أحمد
كسروي -.

وجاء في جانب آخر من الكتاب:

"خلاصة القول أن هؤلاء الحكام الخونة الفاقدين للعقل والأجراء الكبار والصغار العابدين للشهوة والمهربين يجب أن يبدلوا حتى تتغير أوضاع البلاد، وإلا فسوف ترون أسوأ من هذه الأيام، بحيث تصبح الأيام التي تعيشونها الآن جنة بالنسبة لتلك الأيام، فهل يا ترى يمكن أن نعد بلدنا اليوم كغيره من البلدان؟! إذا اعتبرنا هذه الحياة وهذه البلاد جيدة فيجب - عند ذلك - أن نمحو كلمة "رديء" من قاموس العالم".

وفي آخر كتاب "كشف الأسرار" أورد الإمام آية: {وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة...} إلى آخرها، وأضاف:

"مواطنينا الأعزاء، أيها القراء الكرام، يا اخوة الإيمان، أيها الشباب المحبون لإيران، أيها الإيرانيون الطالبون للمجد، أيها المسلمون الباحثون عن العزة، أيها المتدينون الطالبون للاستقلال... هذه هي أوامر السماء، هذه هي الأوامر الإلهية، هذه هي النداءات الغيبية التي أرسلها إله العالم إليكم - يا أمة القرآن وأتباعه - من أجل حفظ استقلال البلد الإسلامي، ورفع رؤوسكم عالياً، فاقراءوها وكرروا ذلك، ودققوا فيها وطبقوها ليعود استقلالكم ومجدكم وتحضنوا النصر والشموخ ثانية، وإلا فستسلكون طريق العدم والحياة المليئة بالذلة والهوان وتكونون لقمة للناهبين في العالم".

مرة أخرى أرى من الضروري التذكير بأن هذا الكتاب قد كتب قبل أربعين سنة - وربما أكثر من ذلك - والامور التي طرحها الإمام هي أهداف توصل إليها أخيراً بالسعي والهمة.

نظرة في كتاب الحكومة الإسلامية

أحدث كتاب (ولاية الفقيه أو الحكومة الإسلامية) - الذي يتألف من (16) درساً - ضجة كبيرة في النجف وإيران. وطبيعي أن الضجة التي حدثت في النجف كانت على العكس تماماً من الضجة التي حدثت في قم وإيران، فالتيار المتخلف في النجف سعى بكل قوته وبمساعدة الأيدي العلنية

والخفية لنظام الشاه لمنع انتشار فكر الإمام الثوري بكل أبعاده؛ فكانوا يمنعون - بالتهديد - الأشخاص الذين كانوا يحضرون درس الإمام من الاشتراك في الدرس، وأتلفوا الكثير من نسخ الكتاب، وكانوا يحملون بعض الأشخاص الذين لم يكونوا يدركون الأمور جيداً على أن يتصلوا بالإمام ويقولوا له: إن النجف لا تتحمل هذا النوع من الكلام. ولكن الإمام كان يتابع عمله من أجل العالم الإسلامي لا من أجل عدة جهات مؤثرة على حوزة النجف، وممن يتقوّلون بكل وقاحة، ولا يتورعون عن كل كذبة أو تهمة يرونها مفيدة لتحقيق أغراضهم. لأدع أيام النجف التي كانت بالنسبة للإمام وأصحابه أياماً مرة جداً.

أما في إيران، وابتداءً من قم وطهران وبعد ذلك اصفهان ومشهد والمدن الأخرى فقد انهمك اصدقاء الإمام وأنصاره باستنساخ دروسه، ووفقوا في ذلك والحمد لله. وفي هذا الكتاب الذي يتألف من أكثر من (200) صفحة ركز سماحته أكثر على أنه "يجب البدء من الصفر". وفي بعض الصفحات جاء الموضوع بشكل يستفاد منه أنه "يجب الاعتماد على النفس ويجب الوقوف بوجه الدعايات المغرضة التي تقول: إننا لا نستطيع أن ندير حكومة".

وإنني لا أنوي هنا بحث هذا الكتاب، بل أذكر بجملة من مواضعه وأدعو القراء إلى قراءته. لقد هاجم الإمام البيروقراطية التي كانت في إيران مؤكداً أن هذه القشور والمراسم لا توجد في حكومة الإسلام، وقد وصف لنا الإمام الاستعمار، ووصف الذين يسعون في الداخل والخارج لإخضاعنا له أكثر، وذكر دور الإعلام في هذا المجال، ونقل أدلة وجوب تشكيل الحكومة من القرآن والسنة، وبحث في شكل الحكومة الإسلامية واختلافها عن سائر أشكال الحكومات، وشروط الحاكم، وكذلك شروط الحكم في عصر الغيبة، الذي يؤول إلى الفقيه، والولاية الاعتبارية والولاية التكوينية، وأن الحكومة وسيلة لتحقيق الأهداف الإلهية والإنسانية العالية، والخصال اللازمة لتحقيق هذه الأهداف، وإثبات ولاية الفقيه عن

طريق النص، ثم خطة النضال من أجل تشكيل الحكومة الإسلامية، والمقاومة في النضال الطويل، وإصلاح الحوزات العلمية، ومحو آثار الاستعمار الفكرية والأخلاقية، حتى يصل إلى إصلاح المتلبسين بالقداسة وتصفية الحوزات، وأخيراً إسقاط الحكومات الجائرة.

يقول سماحته في الصفحة 119:

"علينا أن نسعى - بجد - لتشكيل الحكومة الإسلامية، ونبدأ عملنا بالنشاط الدعائي ونتقدم فيه؛ ففي كل العالم، على مر العصور، كانت الأفكار تتفاعل عند مجموعة من الأشخاص ثم يكون تصميم وتخطيط، ثم بدء العمل، ومحاولة لنشر هذه الأفكار وبثها من أجل إقناع الآخرين تدريجياً. ثم يكون لهؤلاء نفوذ داخل الحكومة يغيرها على النحو الذي تريده تلك الأفكار ويريده ذووها، أو يكون هجوم من الخارج لاقتلاع أسسها، وإحلال حكومة قائمة على هذه الأفكار محلها.

والأفكار تبدأ صغيرة ثم تكبر، ثم يتجمع من حولها الناس، ثم تكتسب القوة، ثم تأخذ بيدها زمام الأمور؛ ولم تكن القوة - كما ترون - حليفة الأفكار من أول يوم. وفي هذا كله ينبغي أن تتخذ من الشعب - بكل قواه - قاعدة رصينة يرتكز عليها ويركن إليها، مع العمل الدائب على التوعية الجماهيرية، من أجل فضح خطط الإجرام، وكشف الانحراف الموجود لدى السلطات الوقتية، ويتم تدريجياً استقطاب الجماهير، كل الجماهير، ويتم الوصول بعدها إلى الهدف.

أنتم اليوم لا تملكون دولة ولا جيشاً، ولكن تملكون أن تدعوا فلم يسلبكم عدوكم هذه القدرة على الدعوة والتوجيه والتبليغ. وعليكم - إلى جانب بيان المسائل العبادية - أن تبينوا للناس المسائل السياسية في الإسلام، وأحكامه الحقوقية والجنائية والاقتصادية والاجتماعية، واتخذوا من هذا محوراً لعملكم. علينا من الآن أن نسعى لوضع حجر الأساس للدول الإسلامية الشرعية، فنَدعو ونبشث الأفكار، ونصدر تعليماتنا، ونكسب المساندين والمؤيدين لنا،

ونوجد أمواجاً من التوجيه الواعي، والإرشاد المنسق للجماهير، ليحصل ردّ فعل جماعي، تكون على أثره جموع المسلمين الواعية المتمسكة بدينها على أتم الاستعداد للنهوض بأعباء تشكيل الحكومة الإسلامية".

وجاء في الصفحة 129 من هذا الكتاب:
"وعظماء الرجاء يخططون للأجيال القادمة، ولا يحزنهم أن لا يلمسوا آثار خططهم مادام المستقبل كفيلاً بإعطاء النتائج والثمرات، ولا يداخلهم اليأس حتى في ذل الأسر، وفي أغوار السجون. ومن أجل الانتصار للأهداف الكبيرة فهم يخططون في السجون لما يسعد الأجيال القادمة، وليس كل همهم أن يصلوا إلى ما يريدون. وكثير من الحركات والنهضات أخذت شكلها النهائي بعد تمهيدات قد ترجع في بعض الأحيان إلى ما قبل مئتين أو ثلاثمئة من السنين".

وبالكلمات التالية وهي من الصفحة 139 - 141 من كتاب "ولاية الفقيه" أنهى مقالي حول كتب الإمام:

"وذاات يوم اجتمع في منزلي: المرحوم آية الله البروجردي، والمرحوم آية الله الحجة، والمرحوم آية الله الصدر، والمرحوم آية الله الخونساري، للتداول في أمر سياسي مهم. فتقدمت إليهم أن يحددوا مواقفهم من هؤلاء المتظاهرين بالقداسة البله وأن يعتبروهم أعداء من الداخل، لأن هؤلاء لا يهتمون بما يجري، ويحولون بين العلماء الحقيقيين وتسلم السلطة والأخذ بزمام الأمور.

فهؤلاء يوجهون أكبر لطمة للإسلام، ويشكلون أكبر خطر عليه، ويبرزون الإسلام بصورة مشوهة كأقصى ما يكون التشوه. ويوجد من هؤلاء كثير في (النجف) و(قم) و(خراسان). ولهم تأثير على البسطاء والبلهاء من أمثالهم من الناس. هؤلاء يعارضون من يصرخ في الناس لإيقاظهم مما غطوا فيه من السبات، هؤلاء يدعون الناس إلى الكسل والتخاذل، هؤلاء يعارضون من يعارض ويقاوم نفوذ الانجليز والأمريكان.

علينا أولاً أن ننصح أمثال هؤلاء أن يرجعوا عن غيهم، وننبههم على الخطر المحدق بالإسلام

والمسلمين، وأن نفتح أبصارهم تحت ضوء الشمس على الخطر الصهيوني والانكلو - أمريكي الذي يمد الكيان الإسرائيلي بمقومات الحياة. لا تطفئوا النور وتنغمروا في أمواج الظلام كما فعل النصارى قبلكم، فقد ألهاهم البحث في التثليث والأقانيم وروح القدس والأب والابن، ولم يبق لهم شيء آخر! تيقظوا وانظروا الحقائق كما هي. تناولوا مسائل حياة اليوم والغد.

أتتوقعون أنتم بوضعكم هذا أن تضع الملائكة أجنحتها تحت أقدامكم إكراماً لكم؟! ألم تكن الملائكة في شغل شاغل عنكم؟! الملائكة تضع أجنحتها تحت أقدام أمير المؤمنين (عليه السلام) لسابقته وخدمته، ونشره للإسلام في الدنيا كلها. فالملائكة تخضع له، ويخضع له الناس حتى الأعداء منهم، لأنهم يخضعون للحق في قيامه وقعوده، وفي كلامه وصمته، وفي خطبه وصلواته وحروبه. ماذا تستحقون أنتم من ذلك التعظيم؟ لا شيء!

نحن نكلم هؤلاء المتقديسين بمثل هذا الكلام؛ فإن نفعت الذكرى فذاك ما نريد، وإلا كان لنا معهم حساب آخر، وموقف آخر".

اقرأوا وطبقوا

فيما يلي رسالة كتبها الإمام سنة 1363هـ - 1944م تبين عمقه وثباته الفكري والسياسي منذ البدء وحتى الآن:

بسم الله الرحمن الرحيم

"اقرأوا وطبقوا"

قال الله تعالى:

{قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى}.

لقد بين الله تعالى في هذا الكلام الشريف مسير البشرية، منذ المنزل الأول المظلم للطبيعة وحتى نهاية هذا المسير. وهو أفضل موعظة اختارها إله العالم من بين جميع المواعظ، واقترح على البشر هذه الكلمة الواحدة التي ينحصر فيها طريق إصلاح الدارين وهي: القيام لله

الذي بلغ بإبراهيم خليل الرحمن منزل الخلّة، وأطلقه من المظاهر المختلفة لعالم الطبيعة. لقد خاض إبراهيم في علم اليقين حتى قال لا أحب الآفلين.

والقيام لله هو الذي سلّط موسى الكليم بعصاه على آل فرعون، ودمّر عروشهم وتيجانهم، وأوصله إلى لقاء المحبوب ومقام الصحو.

والقيام لله هو الذي جعل خاتم النبيين (صلى الله عليه وآله) يتغلب - لوحده - على جميع العادات والعقائد الجاهلية، وأزال الأصنام من بيت الله، ووضع مكانها التوحيد والتقوى، وأوصل ذاته المقدسة إلى قاب قوسين أو أدنى.

وحب الذات وترك القيام لله أوصلنا إلى هذه الأيام السود، وسلطاً أهل العالم - جميعاً - علينا، وجعلوا البلاد الإسلامية تحت نفوذ الآخرين.

فالقيام للمصالح الشخصية هو الذي خنق روح الوحدة والأخوة بين الشعب المسلم، والقيام للنفس هو الذي فرق أكثر من عشرة ملايين شيعة وفصلهم عن بعضهم، فأصبحوا لقمة (في أفواه) حفنة من عباد الشهوة الجالسين وراء الموائد.

والقيام من أجل الفرد هو الذي يسلط شخصاً ما زنادارانياً أمياً على مجموعة يبلغ عددهم ملايين لكي يجعل حرثهم ونسلهم عرضة لشهواته.

والقيام من أجل المصلحة الشخصية هو الذي جعل حفنة من الصبيان جوّابي الشوارع يتحكمون الآن في جميع أنحاء البلاد بأموال المسلمين ونفوسهم وأعراضهم.

والقيام من أجل الأمّارة هو الذي سلم مدارس العلم والمعرفة إلى حفنة من الأطفال البسطاء، وجعل مراكز العلم والقرآن مراكز للفحشاء.

والقيام للذات هو الذي سلم موقوفات المدارس والمحافل الدينية مجاناً إلى حفنة من التائهين، ولا أحد يتنفس.

والقيام للنفس هو الذي رفع حجاب العفة من علي رؤوس النساء المسلمات العفيفات، والآن أيضاً يسري هذا الأمر المخالف للدين والقانون في البلاد، ولا أحد يقول شيئاً ضده!

والقيام من أجل المصالح الشخصية جعل الصحف التي هي وسائل لنشر الفساد الخلقي تنفذ اليوم الخطط نفسها التي ترشحت من الدماغ الجاف لرضا خان - عديم الشرف - وتنشرها بين الجماهير. والقيام للذات أعطى مجالاً لبعض هؤلاء النواب المهربين لكي يقولوا ما شاؤوا في البرلمان ضد الدين والعلماء، ولا أحد يتنفس! فيا أيها العلماء المسلمون الربانيون، أيها العلماء المتدينون، أيها المتحدثون الذين تحبون الشريعة، أيها المتدينون المحبون لله، أيها المحبون لله الطالبون للحق، أيها الطالبون للحق الشرفاء، أيها الشرفاء الوطنيون، أيها الوطنيون أصحاب الكرامة، اقرأوا موعظة إله العالم، واسلكوا طريق الإصلاح الوحيد الذي اقترحه، واتركوا المصالح الشخصية كي تنالوا سعادة الدارين جميعها، وتتمتعوا بالحياة الشريفة فيهما. "إن لله في أيام دهركم نفحات، ألا فتعرضوا لها".

اليوم يوم هب فيه النسيم الروحي الإلهي، وهو افضل يوم للقيام بالإصلاح؛ فإذا فقدتم الفرصة، ولم تقوموا لله، ولم تعيدوا المراسم الدينية، فسلب عليكم غداً حفنة من التائبين الراكضين وراء شهواتهم، ويجعلون شريعتكم وشرفكم عرضة لأغراضهم الباطلة، وما هو عذرهم اليوم أمام إله العالم؟!

لقد رأيتكم جميعاً كتب ذلك التبريزي الطائش الذي جعل جميع شرائعكم عرضة للسباب، وتجاسر كل ذلك التجاسر في مركز التشيع على الإمام الصادق (ع) والإمام الغائب (روحي له الفداء) ولم تصدر منكم أية كلمة! فأني عذر عندكم اليوم أمام المحكمة الإلهية؟! وأي ضعف هذا وأية مسكنة هذه التي استولت عليكم؟!

أيها السيد المحترم الذي جمع هذه الصفحات وأبلغها علماء البلاد الخطباء، حبذا لو أوجدت

كتاباً يجمع فرقته، ويجعلهم يسرون معاً لتحقيق المقاصد الإسلامية!

حبذا لو أخذت منهم جميعاً تواقيع بحيث لو حدث تجاسر على الدين في ناحية من البلاد قاموا جميعاً من أنحاء البلاد كلها، وبقلب واحد، ونحو هدف واحد.

حبذا لو تعلمتم الدين قليلاً من البهائيين، الذين لو كان أحدهم يعيش في قرية فهم يرتبطون به من مراكزهم الحساسة، ولو وقع عليه اعتداء صغير لنهضوا جميعاً من أجله.

إنكم إذا لم تقوموا من أجل حقكم المشروع، نهض الحمقى الفاقدون للدين، وبدأوا في كل ناحية يضربون على وتر عدم التدين، ولسوف يتسلطون عليكم - أيها المتفرقون - قريباً تسلطاً يجعل أيامكم أصعب من زمان رضا خان. {ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله}.

السيد روح الله الخميني

11 من جمادى الأولى 1363 هـ.ق

الفصل الثاني

الإمام قدوة

تمهيد

للتعريف بالخط والمنهج طريقتان: طريقة تستهدف طرح مضمون الخط الفكري، أو السياسي، بالكشف عن مفاهيمه وأفكاره وطروحاته. وطريقة أخرى تنتخب رموز الخط المعبرين عنه، والمتبئين له؛ ومن خلال الحديث عنهم، وعن خصوصيات حياتهم، ومواقفهم الشخصية والسياسة والاجتماعية تتبين معالم الخط والمنهج. وهذا الكتاب اختير فيه الطريق الثاني إيماناً بأن أوسع قطاع من الجمهور يتفاعل مع الرموز الحية للخط، وينشد إليها، ويتفاعل معها أكثر مما يتفاعل مع المفاهيم المجردة، باعتبار أن البطل والرمز المجسد للفكرة - والحي بالخصوص - أكثر قدرة على التأثير في الأمة، وفي صناعة مفاهيمها وقيمها السلوكية والفكرية.

وتركيزنا على البطل الذي يعبر عن الخط لا الخط الذي أوجد البطل، مرده - بالإضافة إلى ما أشرنا إليه سابقاً - أن في الخط اجتهادات وتصورات عدة، لا يمكن أن نخرجها عن الخط باعتبار إسلاميتها، مما يجعلنا نركز على الرمز والبطل الذي يمثل الخط للتعريف بالخط الذي نؤمن به من مجموع الاجتهادات والطروحات الموجودة في الدائرة الإسلامية - وفي هذا الظرف بالشكل الأمثل والأفضل - ألا وهو إمام الأمة (قدس سره) وخطه المبارك.

القوة ودورها في عملية البناء

عندما يتحدث الإنسان عن القدوة الصالحة وأثرها الروحي والاجتماعي، ويكون أمامه نموذج صالح لهذه القدوة، وهو الإمام الخميني (قدس سره)، يشعر بالخرج والرغبة، حيث لا يكون الإنسان أمام تجربة طرح المفاهيم والأفكار

فحسب، وإنما يكون أمام معالجة تأثير هذه الأفكار والمفاهيم في النفس والإنسانية، من خلال مدى تجسيدها في الواقع المعاش لهذا الإنسان، وأهمية هذا التجسيد، الذي يعتبر من أشد القضايا تعقيداً، وأكثرها عناءً في حياة الإنسان، لأن هذا التجسيد هو الذي يمثل الجهاد الأكبر في الحياة الإنسانية (جهاد النفس): {قد أفلح من زكاها * وقد خاب من دساها}. (الشمس: 9 - 10).

{والعصر * إن الإنسان لفي خسر * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر}. (العصر: 1 - 3).

ويمثل بالتالي القيمة الحقيقية للإنسان عند الله سبحانه، التي كرمه بها على سائر مخلوقاته. {ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً}. (الإسراء: 70).

{إن أكرمكم عند الله أتقاكم}. (الحجرات: 13). ولذا سوف أكتفي - في هذا المقال - بطرح بعض الملاحظات حول القدوة ودورها، ثم بعض مواضع القدوة في سلوك إمام الأمة (قدس سره)، وملاحظات وجيزة لاحظتها عن قرب في شخصية الإمام، باعتبار أن الإمام (قدس سره) أفضل قدوة نعيشها في هذه الأيام.

منهج القرآن في التغيير الاجتماعي

لقد اتبع القرآن الكريم، والإسلام العظيم، في عملية التغيير التي مورست في المجتمع؛ منهجين أساسيين:

أحدهما: منهج مخاطبة العقل، والتنبيه على مختلف الظواهر، القائمة في عالم التكوين، سواء فيما يتعلق بالظواهر السماوية والأرضية، أو التي تختص بالنفس الإنسانية، أو السنن التي تتحكم في تاريخ الإنسان ومسيرته التكاملية، التي يمكن للعقل الإنساني أن يدركها ويفهمها، وذلك من أجل أن يرسم للإنسان الطريق الصحيح المستقيم نحو الكمال والسمو.

فقد اعتبر القرآن العقل الإنساني الدليل الذي ينبع من الذات، والمرشد الأول للإنسان في مسيرته في هذه الحياة، واعتبره أساس الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة.

روي عن أبي جعفر (ع) أنه قال:

"لما خلق الله العقل استنطقه، ثم قال له: أقبل. فأقبل، ثم قال له: أدبر. فأدبر، ثم قال: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً هو أحب إليّ منك، ولا أكملتك إلا فيمن أحب؛ أما إنني إياك آمر، وإياك أنهي، وإياك أعاقب، وإياك أثيب".

وأكد القرآن دور ذوي العقول والألباب، ومنهج التدبّر والتفكير، في الوصول إلى الحقيقة.

والآخر: مخاطبة الوجدان الذي أودعه في فطرته، وهو تلك الإحساسات الفطرية التي يتجه إليها الإنسان، ويرى فيها موازين الكمال والنقصان، والسمو والسقوط، والتي يشعر الإنسان - دائماً - تجاهها بجاذب الحب والبغض، أو المدح والذم، أو الحسن والقبح؛ فالإنسان يميل إلى العدل والإحسان، والإيثار والشجاعة، ويحب هذه الصفات، ويبغض الظلم والإساءة، والاستئثار والجبن، وينفر منها.

ومن أجل أن يوجه القرآن الكريم والإسلام العظيم الإنسان نحو مراتب الكمال، ويبعداه عن التردّي والنقصان، يؤكدان هذه المعاني الفطرية السامية، ويبينان له مصاديقها ومعالمها وحدودها لئلا تختلط عليه الأفراد والصور، ويبعدانه عن مواضع السقوط والتردّي، ويشخصان له مواردها وأفرادها.

وهذا يمثل العنصر الثاني في الهداية الذاتية للإنسان، والذي رسم معالمه القرآن الكريم، اعتماداً على وجود هذا الميل والاتجاه في المعرفة في داخل الإنسان.

عوامل مؤثرة على إرادة الإنسان

وإلى جانب ذلك كله، جبل الله الإنسان على غرائز ورغبات، وزين له الشهوات:

{زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ

المسوّمة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب}. (آل عمران: 14).
بحيث أصبحت هذه الأشياء وغيرها عوامل مؤثرة على إرادة الإنسان ومسيرته، لأنها تمثل في هذا الإنسان حاجاته المادية والمعنوية. والطاقة المحركة في داخل الإنسان، التي تدفعه نحو التكامل الدنيوي والآخرى، إذا كانت ضمن الحدود التي رسمتها الشريعة، ولكنها - في نفس الوقت - تمثل خطراً على مسيرة الإنسان، عندما تتجاوز الحدود التي وضعها الله لهذه الحاجات، حيث تجذبه أو تدفعه نحو السقوط في الهاوية، وتشده نحو الأرض، وتكبله بالقيود والأغلال عندما يتحول إلى أسيرها، شأنها في ذلك شأن المحروقات، التي يحتاجها المحرك، ولكنها قد تتحول إلى عامل مدمر للمحرك نفسه، عندما تتجاوز الحدود المقررة للاستفادة منها.

هذه العوامل التي يسميها القرآن بالهوى، إذا تحولت إلى إله يتبعه الإنسان، ويسلس له قياده، أصبحت شيئاً مدمراً لحياته:
{واتلّ عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين * ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه...}. (الأعراف: 175-176).

{أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم}. (محمد: 14).
{أفرايت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون}. (الجاثية: 23).
وبذلك ازدادت مسيرة الإنسان تعقيداً ومعاناة، حيث وجد - إلى جانب ذلك الميل الفطري نحو الكمال - هذا العامل الغريزي، المؤثر في الإنسان من خلال الإحساس بالحاجات من جانب، والطغيان في الانسياق مع هذا الميل والهوى، الدافع له نحو الهاوية، وأصبح على الإنسان أن يوفق بين هذين العاملين؛ الميل الفطري والحاجة الغريزية، ويتبين مواضع أقدامه، في مسيرته الطويلة، حتى يحقق الكمال.

وقد اهتم القرآن الكريم والإسلام العظيم برسم معالم المسيرة أمام الإنسان وهدايته نحو أهدافها، وبعث الله الأنبياء والرسل لتحقيق هذه الهداية:

{هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين}. (الجمعة: 2).

{كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه...}. (البقرة: 213)

فلسفة القدوة في منهج التغيير الاجتماعي

ولكن بالرغم من ذلك تبقى أمام الإنسان مجموعة من المشاكل الدقيقة، كانت بحاجة إلى التوضيح والإبانة، حتى يكمل مسيرته. وإزاء هذه المشاكل، تبرز (القدوة) و(الأسوة) كأحد العوامل المهمة في تحقيق هذا الهدف، وحل هذه المشكلات:

فالمشكلة الأولى عقلية؛ إذ قد يكون المفهوم الذي يريد أن يقدمه الإسلام واضحاً، ولكن الموقف الذي ينسجم مع المفهوم قد يعثر به شيء من الغموض، بحيث يكون بحاجة إلى التشخيص والوضوح، من خلال ممارسة عملية خارجية تشخصه وتبينه، وهنا يأتي دور القدوة الصالحة، التي تجسد الموقف الصحيح، الذي يتناسب مع الظروف والشروط الموضوعية، والمنسجم مع المفهوم الإسلامي:

{أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب}. (البقرة: 214).

فالمسلمون الذين واجهوا فكرة اقتران النصر بالمحنة والابتلاء بالبأساء والضراء والصبر عليهما كانوا بحاجة إلى القدوة والأسوة العملية في التاريخ، فجاء هذا التوجيه

القرآني لذلك من خلال هذه الآية وأمثالها وبيان مصاديقه في قصص الأنبياء لتجسيد هذا الموقف. وقد ورد عن عبد الملك بن عمرو أنه قال: قال لي أبو عبد الله (ع) - يعني الصادق -: "يا عبد الملك، ما لي أراك تخرج إلى هذه المواضع التي يخرج إليها أهل بلادك؟ قال: قلت وأين؟ قال (ع): جدة وعبادان والمصيصة وقزوين. فقلت: انتظاراً لأمركم والإقتداء بكم. فقال (ع): إي والله، لو كان خيراً ما سبقونا إليه. قال: قلت له: فإن الزيدية يقولون بيننا وبين جعفر خلاف، إلا أنه لا يرى الجهاد. فقال (ع): أنا لا أراه! بلى والله، إنني لأراه، ولكني أكره أن أدع علمي إلى جهلهم".

والمشكلة الثانية روحية ونفسية؛ فالإنسان قد يملك الوضوح الكامل في الطريق ومعالمه، ولكنه يشعر بالضعف والعجز، في كثير من الأحوال، ويتلكأ، ويسقط في الطريق نتيجة لذلك، لولا العناية الإلهية. ومن هنا، فهو يحتاج إلى من يشق الطريق أمامه، ليكتسب الشجاعة اللازمة، والمعنويات العالية، في اقتحامه هذا الطريق الشائك؛ ويأتي هنا دور القدوة الصالحة التي تشق الطريق، وتفتح السبيل أمام كل أولئك الضعفاء على اختلاف مراتبهم:

{قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير}. (الممتحنة: 4).

والثالثة: أن الحقيقة قد تشتبه بالادعاء، والواقع بالرغبة، والفعل بالقول، فيصبح الادعاء مورداً للشك باعتبار قلّة التجربة، أو عدم الاطلاع على كل الظروف المحيطة بالادعاء وأبعادها، بحيث يتخوف الإنسان من الخديعة، أو التضليل والتغريب. ويأتي دور القدوة التي تقرر القول بالعمل، وتجسد الادعاء، وتصدق الحقيقة.. وبذلك يصبح القول المقرون بالعمل

أكثر تأثيراً في النفس، لما فيه من دلالة على قناعة حقيقية وإيمان حقيقي من قبل الآخرين، لأن القناعة والإيمان يكون لهما تأثير في نفوس الآخرين، لما فيهما من الدلالة على صدق التجربة، وصحة الادعاء، والاستعداد للمواساة، وتحمل الأعباء والمشاكل: {يا أيها الذين آمنوا لِمَ تقولون ما لا تفعلون * كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون * إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص}. (الصف: 2 - 4).

{ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً * من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً}. (الأحزاب: 22 - 23).

{الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل}. (آل عمران: 173).

الرابعة: ان المفهوم المطروح للمثال قد يتهم بأنه مفهوم مثالي ولا يمكن تحقيقه عملياً، وهو مجرد طموح نحو الكمال، وتخيل لدرجات السمو، باعتبار اتجاه الإنسان إلى الخيال والطموح. ويأتي دور القدوة من أجل أن يؤكد واقعية المفهوم، والقدرة على تطبيقه وتجسيده عملياً:

{إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين * ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين * ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون}. (القصص: 4 - 6).

ولعل أروع النصوص التي تشير إلى هذه الأبعاد في دور القدوة ما جاء عن علي (ع) في نهج البلاغة. (راجع نهج البلاغة: الخطبة 160، تصنيف د. صبحي الصالح).

وبالإضافة إلى كل ذلك، يمكن أن يكون للقدوة دور مهم في إيجاد القناعة واليقين بقضايا كثيرة لا يمكن الإقناع بها إلا من خلال القدوة الصالحة، حيث إن القناعة وحسن الظن بهذه القدوة، من خلال السلوك المتكامل يفرضان قياساً طبيعياً وروحياً للمساواة بين تلك الممارسات الحسنة والسلوك الجيد الذي يلتزمه هذا الإنسان (القدوة) من جهة، وبقية الممارسات الأخرى التي يقوم بها، بحيث ينتهي الأمر إلى سريان الالتزام والإيمان إلى تلك الممارسات الأخرى.

وقد استخدم الرسول (ص) هذا الجانب كأسلوب للهداية؛ ومن النماذج بهذا الصدد ما روي عنه (ص) أنه قال يوماً لقريش: ما تقولون لو أخبرتكم بوجود قافلة وراء هذا الجبل. فكان جوابهم إننا نصدق ونتصرف على أساس هذا التصديق. فقال لهم إذن فإني أخبركم بأن لا إله إلا الله، وأن هذه الأصنام لا تضر ولا تنفع. وقد كان هذا الجانب مؤثراً في إقناع الكثير من الناس بالرسالة الإسلامية، أكثر من قناعتهم ببقية الأدلة والبراهين على صحة الرسالة.

وفي هذا المجال وردت الروايات التي تؤكد الدعوة إلى الله من خلال الالتزام والعمل؛ فقد نصح الأئمة (ع) شيعتهم أن يكونوا دعاة لهم بأعمالهم.

قال الإمام الصادق (ع) :

"كونوا دعاة للناس بغير ألسنتكم ليروا منكم الورع والاجتهاد والصلاة والخير، فإن ذلك داعية".

وقال (ع) : "عليكم بتقوى الله والورع والاجتهاد وصدق الحديث وأداء الأمانة وحسن الخلق و... وكونوا لنا زيناً ولا تكونوا علينا شيناً".

كما أن اشتراط العدالة في إمام الجماعة والجماعة قد يكون انطلاقة من مبدأ القدوة، حيث لا يبرز في إمام الجماعة إلا هذا الجانب، بخلاف العدالة في الشاهد الذي يكون الهدف منها هو الوصول إلى الحقيقة وتحقيق العدل.

وبذلك تصبح القدوة الصالحة دليلاً على الحقيقة قائماً بنفسه، ومنهجاً للهداية، يؤثر -

في الوقت نفسه - على العقل والوجدان، وجمع - إلى جانب ذلك - الوضوح والشجاعة والثبات. وبهذا الاستعراض القصير لبعض آثار القدوة على مسيرة الحياة التغيرية، يمكن أن نعرف أن القدوة تعبير عن أحد أفضل الأساليب التي يمكن أن يتم التخاطب بها مع العقل والوجدان معاً. ولعل هذا الدور هو أحد أهم ما يفسر به اشتراط العصمة أو العدالة - بدرجة عالية - في القيادة الإسلامية؛ حيث يمكن أن يكون لهذه القيادة المتصفة بهذه الصفة دور القدوة والهداية - إلى جانب دور المفاهيم والأفكار التي تطرحها الشريعة - في تحقيق التغيير. ولأهمية الدور الذي يمكن أن تؤديه القدوة في تحقيق الهداية والتغلب على المشكلات التي يواجهها الإنسان في مسيرته التكاملية، نجد القدوة تدخل كعنصر أساس في النظرية الإسلامية في التحرك السياسي؛ فبالإضافة إلى ما ذكرناه من اشتراط العصمة أو العدالة العالية في القيادة الإسلامية، لضمان تحقيق الاستقامة والعدل في المسيرة الإسلامية، تبرز هذه القضية في جانب آخر وهو جانب الارتباط السياسي بالقيادة، حيث يجب أن تكون القيادة (علنية)، ويعلم بها الأتباع، ولو بدرجة محدودة، حيث جاء النص المتواتر بين المسلمين أن: "من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية".

ومن هنا يمكن أن نفهم تأكيد أمير المؤمنين علي (عليه السلام) لدور القدوة وأهميتها عندما يقول:

"واقْتَدُوا بهدي نبيكم فإنه أفضل الهدى، واستنُّوا بسنته فإنها أهدى السنن". وكذلك كان يقول عن رسول الله (ص): "ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر أمه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً ويأمرني بالإقتداء به".

وجاءت الكلمة القيمة لإمام المتقين: "ألا وإن لكل مأموم إماماً، يقتدي به ويستضيء بنور علمه، ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه

بطمريه، ومن طعمه بقرصيه، ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك، ولكن أعينوني بورع واجتهاد، وعفة وسداد".

وبذلك تصبح القدوة أحد المعالم الرئيسة التي تفرق بها نظرية الإمامة في العمل السياسي عن النظريات الحزبية الحديثة، بل يمكن أن نقول: إنه يوجد في القرآن الكريم ما يمكن أن يفهم منه؛ أن الإنسان - بسبب تركيبته النفسية أو الاجتماعية - يقع تحت تأثير القدوة بشكل طبيعي، بحيث يمثل ذلك اتجاهاً فطرياً في الإنسان، ولذا يحسن بالإنسان أن يستخدم عقله في اختيار القدوة، حتى لا يتعرض للانحراف، ولكي يحصل على طريق صحيح للهداية والتكامل الإنساني.

ولعل الكلمة المعروفة للإمام علي (ع): "ألا وإن لكل مأموم إماماً يقتدي به، ويستضيء بنور علمه.." تشير إلى هذا الاتجاه الفطري في الإنسان من ناحية، وأهمية القدوة وضرورتها من ناحية أخرى. وسوف يأتي مزيد من التوضيح لهذه الفكرة قريباً.

تأكيد القرآن لدور القدوة
ولذلك نجد القرآن الكريم يؤكد دور القدوة والتأسي في النهج الذي التزمه في التغيير؛ وقد نهج القرآن لذلك خطين رئيسين:
الأول: الخط الذي يؤكد دور الاقتداء والتأسي، ويأمر بهما بشكل مباشر؛ حيث ورد في مجموعة من الآيات التأكيد أو الإشارة إلى ذلك مثل قوله تعالى:

{لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً}. (الأحزاب: 21).

{أولئك الذين هدى الله فبهم اهتداهم اقتده}. (الأنعام: 90).

{قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك لك

من الله من شيء ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير}. (الممتحنة: 4).

{فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم...}. (الاحقاف: 35).

الثاني: القصص والأمثال التي ضربها القرآن الكريم، سواء في تاريخ الأنبياء أو الأمم الماضية، أو في تاريخ الأمة الإسلامية، وسيرة النبي (ص) والصادقين من أصحابه، حيث كان الهدف منها الاعتبار والإقتداء والتأسي، من خلال استنباط القوانين والسنن التاريخية، كما هو واضح من خلال بيان أهداف هذه القصص: {لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب}. (يوسف: 111).

{وكلأ نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين}. (هود: 120).

{أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب}. (البقرة: 214).

{وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين * ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين}. (التحريم: 11 - 12).

{الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل}. (آل عمران: 173).

{إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون}. (النور: 51).

{ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً}. (الأحزاب: 22).

وفي الحديث عن أبي عبد الله الصادق (ع):
"خير ما خلفه الرجل بعده ثلاثة:

ولد بارّ يستغفر له ،
وسنة خير يقتدى به فيها ،
وصدقة تجري من بعده " .
وعن الصادق (ع) أيضاً :

"ولا طريق للأكياس من المؤمنين أسلم من الإقتداء ، لأنه المنهج الأوضح ، والمقصد الأصح ؛ قال الله تعالى لأعزّ خلقه محمد (ص) : { أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده } ؛ فلو كان لدين الله مسلك أقوم من الإقتداء لندب إليه أولياءه وأنبياءه .

القُدوة الصالحة والقُدوة الفاسدة

وكما أن القُدوة الصالحة تمثل عنصراً أساساً في عملية بناء المجتمع الصالح ، كذلك نجد القُدوة قد تتخذ بعداً تخريبياً للمجتمع ، عندما تكون العناصر التي يقتدي بها الأفراد في المجتمع عناصر فاسدة ، وبالتالي تؤثر فيهم تأثيراً معكوساً ، بحيث يتحولون إلى مجرد أتباع مسلوبى الإرادة والعقل والضمير ، تؤثر فيهم القوة والهيمنة المادية لهذه العناصر . وهذا التأثير قد يعكس اتجاهاً فطرياً ، وحالة طبيعية يحس بها الإنسان وهو الاتجاه للاقتداء واتباع الأشخاص المتميزين في المجتمع ، ويجسد الدور الخاص للقُدوة في التأثير الاجتماعي . ولذلك نجد القرآن الكريم يشير إلى بعض هذه النماذج الفاسدة والمؤثرة ، ويحذر منها ، ويذكر النهاية السوداء التي تنتظر أولئك الأتباع في المستقبل :

{ومن الناس من يتّخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعاً وأن الله شديد العذاب * إذ تبرا الذين اتّبعوا من الذين اتّبعوا ورأوا العذاب وتقطّعت بهم الأسباب * وقال الذين اتّبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبراؤا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار} . (البقرة : 165 - 167) .

{وبرزوا لله جميعاً فقال الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون

عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ
لَهَدَيْنَاكُمْ سِوَاءَ عَلَيْنَا أَجْزَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا
مِنْ مَحِيصٍ}. (إبراهيم: 21).

ولذلك يصنف القرآن الكريم الأئمة الذين
يقودون المجتمع، ويمثلون العناصر المؤثرة فيه
إلى قسمين:

- أئمة يهدون إلى الجنة والحق وأمر الله.
- أئمة يهدون إلى النار والضلال والفساد.
{وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا
وكانوا بآياتنا يوقنون}. (السجدة: 24)
{وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم
القيامة لا يُنصرون} * وأتبعناهم في هذه الدنيا
لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين}. (القصص:
41 - 42).

وقد ورد عن أمير المؤمنين عليّ (ع):
"إن أبغض الخلائق إلى الله رجلان: رجل وكله الله
إلى نفسه، فهو جائر عن قصد السبيل، مشغوف
بكلام بدعة، ودعاء ضلالة، فهو فتنة لمن افتتن
به، ضالّ عن هدي من كان قبله، مضلّ لمن اقتدى
به في حياته وبعد وفاته".
وورد عنه أيضاً:

"ومالي لا أعجب من خطأ هذه الفرق على اختلاف
حججها في دينها، لا تقتصون أثر نبيّ، ولا يقتدون
بعمل وصيّ".

وأمر الله - سبحانه - باتباع الهداة إليه،
لأنهم يدعون إلى الحق والصلاح، وكذلك استخدام
العقل في القدوة والاتباع، كما يستخدم العقل
في كل القضايا التي ترتبط بالحاجات والرغبات
والغرائز الإنسانية:

{قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق قل الله
يهدي للحق أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع
أمن لا يهدي إلا أن يهدي فما لكم كيف
تحكمون}. (يونس: 35).

وبهذه الطريقة يضع القرآن الكريم الموازين
- التي يجب أن يؤخذ بها - مقياساً في القدوة
الصالحة التي لا بد للإنسان من أن يربط مصيره
بها، وأهم هذه الموازين هو الدعوة إلى الحق،

والعقيدة الصالحة، والتقوى، والصبر، والثبات على الطريق المستقيم، والسير في طريق الكمال الإنساني، والابتعاد عن مزالق الهوى والعجب والظلم والاستكبار، بحيث يكون هذا الامتياز قائماً على أساس الجانب المعنوي والتكاملي في الإنسان، حيث نجد هذه المواصفات مبثوثة في القرآن الكريم. كما أننا نلاحظ أن قوى الكفر والضلال تحاول أن تطرح في المجتمع العناصر الفاسدة كقدوة للناس، وتحيطهم بهالة من الإعجاب والثناء والشهرة؛ الأمر الذي يؤدي إلى الاقتداء بهم، والتأسي بسلوكهم الفاسد، وأعمالهم القبيحة.

ونجد أن الأسس والموازين في القدوة الفاسدة هي: الامتياز في المال والجاه والقوة، والجمال المادي، وتجسيد اللذة والمتعة الشخصية والجسمية، والسعي للإكثار منها.

تأثير الحب والموقع الاجتماعي للقدوة الصالحة

وتزداد القدوة أهمية في التأثير والفاعلية عندما يمتاز الشخص القدوة بميزتين رئيسيتين: الأولى: رابطة الحب والودّ مع الناس، حيث ينتقل العمل الصالح الذي يمارسه القدوة إلى هؤلاء الناس ليس من خلال عقولهم فحسب، وإنما يأخذ طريقه إلى قلوبهم ووجدانهم، من خلال هذه العاطفة المؤثرة والمحركة لإرادة الإنسان، وينتقل هذا الحب من شخص القدوة وصفاته إلى كل تصرفاته وأعماله. وبذلك تزداد مسؤولية الإنسان القدوة تجاه أعماله وأقواله، عندما يكون محاطاً بهذا اللون من الحب والود بين الناس، وتصبح مسؤولية الالتزام السلوكي على درجة عالية كلما كان للقدوة موقع خاص في نفوس الناس.

الثانية: الموقع الاجتماعي، كأن يكون الإنسان القدوة زعيماً في المجتمع، أو ولياً لأمر المسلمين، أو مرجعاً دينياً عاماً، حيث يكون هذا الموقع الاجتماعي عاملاً طبيعياً في التأثير والاتباع، حسب القاعدة المعروفة (الناس على دين ملوكهم)، لأن موقع القدوة والقوة والاحترام

يكون له تأثير في نفوس الكثير من العامة الذين يشعرون بالضعف تجاه المواقع الاجتماعية الكبيرة، ومن هنا جاء التأكيد بالالتزام السلوكي الخاص لنساء النبي (ص) - مثلاً - على مسؤولية الالتزام العالي:

{يا نساء النبي لستن كأحد من النساء...}.
(الأحزاب: 32)

كما نجد أن الفقهاء يشترطون في القائد والمرجع درجة عالية من العدالة، تختلف عن العدالة التي يشترطونها في إمام الجماعة أو الشاهد، لطبيعة الموقع الاجتماعي الذي يحتله هذا القائد أو المرجع، ولطبيعة المسؤوليات العظام التي يتحملها.

ولعل هذا هو السبب الرئيس في احتلال الكثير من الملوك والمترفين والطغاة لموقع القدوة في المجتمع، بالرغم من تفاهة شخصياتهم أحياناً، وفسادهم وظلمهم وارتكابهم الكثير من الأعمال المشينة المنفرة لأفراد المجتمع أحياناً أخرى، كما أشير إلى ذلك في بعض الآيات السابقة.

ولذلك عندما يصبح هذا الزعيم إنساناً صالحاً سوف يكون ذا تأثير بالغ في الأمة، وتزداد أهمية القدوة فيه، بالإضافة إلى بعد آخر في هذا الموقع الاجتماعي، عندما يكون قدوة سالحة، وهو ما يعبر عنه بـ "الكمال الإنساني" .. وحيث إن الموقع الاجتماعي يمثل أسلوباً من أساليب الاختبار والامتحان، فإن الزعامة والولاية تتحول إلى معاناة قاسية على مستوى النفس والإرادة، واختبار للإرادة العالية والصبر على تحمل المشاكل والضبط للهوى والحذر والاحتياط من الانزلاق في مزالق الهوى أو التردى في هاوية الشهوات؛ الأمر الذي يعني ضرب أروع الأمثلة في جهاد النفس للقدرة الصالحة.

وتزداد هذه الأهمية عندما تعيش القدوة بين هؤلاء الناس فعلاً؛ حيث يمكنهم أن يدركوا كل الظروف التي أحاطت بالسلوك والمسيرة، ويصبح التجسيد حقيقة قائمة دون أن تتحول القدوة إلى مجرد موقف تأريخي لا تتحسس الناس ظروفه.

ولهذه الأهمية التي تتمتع بها القدوة الصالحة في عملية التغيير الاجتماعي والبناء الذاتي لأفراد المجتمع، نجد أعداء الإسلام والحق يحاولون دائماً - عندما يعجزون عن محاربة الأفكار والمفاهيم والعقائد في الرسائل الإلهية، والأعمال الإصلاحية، التي يقوم بها الأنبياء والأوصياء، والعلماء والصالحون - محاربة القدوة الصالحة في المجتمع (وهي النبي أو الوصي أو الإنسان الصالح، الذين يتحملون هذه المسؤوليات) وتشويه صورتها، لأنهم يدركون أن هدم القدوة الصالحة سوف يؤدي - بالتالي - إلى الضياع والتهيه في مسيرة التغيير والبناء، بعد أن تفقد المسيرة ربانها المجسد - ولو بدرجة معقولة - لمفاهيمها ومعالمها واقعياً وخارجياً.

وقد أشرنا إلى مجموعة من هذه الأساليب التي يتبعها أعداء الإسلام إسقاط القدوة في بعض محاضراتنا، ولكن قد نذكر بعضها عندما نتحدث عن مواضع القدوة في شخصية الإمام. ومن هنا يصبح تدوين مسيرة الصالحين - وخصوصاً البارزين منهم - ونشر تفاصيل حياتهم وسلوكهم عملاً تبليغياً رائعاً، وخدمة إسلامية صادقة، لأن ذلك يوسع من دائرة تأثير القدوة باتساع دائرة الاطلاع على مواطن الاقتداء فيها.

مواضع القدوة في شخصية الإمام (قدس سره)

في البدايات، أود أن أشير إلى خصوصيتين مهمتين، في شخصية الإمام، لهما أهمية خاصة في قضية التأسّي بالقدوة، بالإضافة إلى خصوصياته الكمالية والسلوكية التي ترتبط بالعلم، والتقوى، والشجاعة، وحسن التدبير، والاهتمام بإبلاغ الحجة إلى كل الأوساط. ثم أشير - بعد ذلك - إلى بعض النقاط السلوكية في مسيرته الجهادية، بالمقدار الذي يسمح به هذا البحث. علماً بأن بيان مواضع القدوة في شخصية الإمام يحتاج إلى بحث كبير وواسع، لما لهذه الشخصية من أبعاد اجتماعية وسياسية وعلمية وسلوكية

حافلة بالأبحاث والمواقف والمتغيرات، كما أنها عاصرت فترات زمنية حرجة وصعبة.

روح الله بين رعية الله

الأولى: إن إمام الأمة (قدس سره) جمع بين صفتين متضادتين - عادة - في مجال التنفيذ والعمل:

أ - صفة الاحتفاظ بالسلوك العالي المتميز، والطهارة والنزاهة العملية، والاحتياط والابتعاد عن مواطن الشبهات، وكما يفرضه موقعه الديني كمرجع للمسلمين يرتبطون به، لأنه يمثل حلقة الوصل بينهم وبين الله في بيان الأحكام والمواقف العملية لهم.

هذا السلوك الذي يؤدي - عادة - بالكثير من الناس إلى العزلة، والابتعاد عن المجتمع، ومشاكله المعقدة ومواضع الانزلاق، ومواطن الشبهة والابتلاء.

ب - صفة الاهتمام بالقضايا الاجتماعية والسياسية التي تعيشها الأمة، وتفاصيل المشاكل التي تواجهها، وطرح الحلول لهذه المشاكل في ضوء الإسلام، واتخاذ المواقف السياسية والاجتماعية من أجل مواجهة كل هذه الأحداث والاستفادة منها في عملية التغيير الاجتماعي، وتربية الأمة على المواجهة، والسير بها نحو الكمال الإلهي.

وهذه هي الخصيصة التي يتميز بها كل القادة الرساليين، كالأنبياء السائرين على منهجهم؛ فهم في الوقت الذي يجسدون فيه الارتباط بالسماء ومعانيها السامية، لا ينفصلون عن الأرض وقضاياها؛ فهم يعيشون بين أهل الأرض بكل معاناتهم ليرسموا لهم خط السماء من خلال أقوالهم وأفعالهم.

وحين حاول واحد من هؤلاء الأنبياء - في لحظة انفعال - أن ينصرف عن أهل الأرض لانحرافهم وضلالهم امتحنه الله - سبحانه - بقوة وعرضه للبلاء:

{وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين}. (الأنبياء: 87).
{فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم * لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم * فاجتباه ربه فجعله من الصالحين}. (القلم: 48 - 50).

فالعزلة عن المجتمع وقضاياه المصيرية، في بعض الأحيان، خوفاً على الدين والأخلاق - كما يصنع بعض الأشخاص - تشبه الفرار من الزحف في ميادين القتال! فيمسي شأن القدوة المفترض شأن الإنسان الذي لا يدخل المدرسة، ولا يطلب العلم، خوفاً من نتائج الامتحان والاختبار.. لأن المسؤولية والوظيفة الشرعية تفرضان الدخول في ميدان الصراع الاجتماعي ضد قوى الضلال والكفر وأحزاب الشيطان وأوليائه، من أجل ترسيخ دعائم الحق، وترسيم طريق الهداية حتى لو كان الإنسان في معرض الخطأ والاشتباه.

ولكن في الوقت نفسه، لابد للإنسان من التمسك بالأخلاق الفاضلة، والموازين الشرعية والقوانين الإسلامية، والمعاني السامية التي تجسد التقوى والعلاقة بالله سبحانه، وبذلك يتعرض الإنسان إلى الاختبار والامتحان، ويستحق الثواب والأجر، وبذلك - أيضاً - يتكامل الإنسان، ويسمو، ويلتحق بركب الأنبياء والصديقين والشهداء.

وهذا هو الذي يفسر لنا قانون الامتحان والفتنة والابتلاء الذي كتبه الله - سبحانه - على البشرية جمعاء.

ولذلك - أيضاً - شجب الإسلام الرهبانية المسيحية ووصفها بالبدعة؛ حيث إن الرهبانية في الإسلام هي جهاد النفس والزهد بالدنيا لا العزلة عنها وتجميد الوظائف الطبيعية للإنسان: {ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها}. (الحديد: 27).

الزعيم الديني في منهج الفرد العادي

الثانية: إن الإمام تمكن - إلى حدٍّ بعيد - من أن يحتفظ بالسلوك الاجتماعي نفسه، الذي كان يمارسه قبل أن يصبح زعيماً مطلقاً، ومؤسساً للجمهورية الإسلامية، وفقياً مبسوط اليد في الأمة، سواء في المستوى الروحي، أو في مستوى العلاقات مع الجماهير، أو في أساليب الحياة المعيشية والإدارية. ولم يتجاوز ذلك إلا بالمقدار الذي تفرضه الأوضاع الصحية الخاصة، أو الظروف الأمنية المشددة، أو بعض المصالح العامة.

ويمكن أن يلاحظ ذلك بوضوح من خلال أحيائه أو علاقاته بالآخرين، أو منحه الفرصة - باستمرار - للقاء المجاهدين وعوائل الشهداء أو الناس العاديين بشكل عام، أو ممارساته الشخصية في المأكل والملبس والمسكن، بالرغم من ضخامة المسؤوليات التي يتحملها، والموقع السياسي الرسمي الذي يتبوّؤه، ونمو العواطف والأحاسيس

الفصل الثالث

رباطة الجأش والسماحة عند الإمام

سماحة الشيخ فرقاني

سماحة الإمام من سماحة الإسلام

اعتاد الإمام أن يذهب لإلقاء الدرس في الساعة العاشرة والرابع من صباح كل يوم، وكنت أتبعه مسرعاً، لكي أكون بمعيته، وكنت أخرج - أحياناً - بعده، لأنه كان يذهب بمفرده إلى حلقة الدرس، ولم يكن يخبرني - أغلب الأحيان - عندما كان يخرج.

وفي أحد الأيام، وبينما كنت مسرعاً للحاق بالإمام وجدت شيخاً كهلاً من أهالي مازندران، كان معروفاً بحقده وعدائه، وغالباً ما كان يحرض الطلبة على عدم الحضور في درس الإمام، شاهدته يقبل باب منزل الإمام، وينحني فيقبل العتبة! فلم استسغ ذلك منه وأبدت استغرابي من فعله، فالتفت إليّ قائلاً: "الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله". فقلت ما الذي حدث؟! فلم يجبني، ولكنه سألني: هل تذهب إلى الدرس؟ وهل يأتي الإمام إلى المسجد؟ فأجبته: نعم. قال لي: سأرافقك إلى المسجد.

عجبت من أمر الرجل، فإنه لم يك يحضر الدرس مطلقاً، ولم يكن يدع ابنه يقترب إلى الإمام لتقبيل يده، وخرج الإمام، وانسحب الرجل متوارياً عن نظرنا من زقاق جانبي - لشدة خجله -، وذهبت مع الإمام إلى المسجد. وكنت قد نسيت كتاب الدرس فاضطرت إلى أن أجلس عند المنبر وعلى مقربة من باب المسجد.

وجاء الشيخ المازندراني، فجلس إلى جانبي، وقال لي: إنك تعلم بتأثير بطانة السوء عليّ، وقد سمعت الكثير من المغرضين يقولون: إن الإمام يقرأ الصحف والجرائد، وأضاف الشيخ قائلاً: في إحدى الليالي رأيت في عالم الأحلام أنني في حرم أمير المؤمنين (ع)، ورأيت مجموعة

من الأشخاص ذوي مهابة وجلال، وقد جلسوا مصطفىين متقاربين. كانوا اثني عشر، وقيل لي أن الثاني عشر المهدي (عج) الذي كان يسطع منه النور في غاية الحسن والجمال، كان يجلس في آخر الصف. وبعد ذلك شاهدت العلماء من السلف الماضي بدأوا يخرجون من مقبرة المقدس الأردبيلي واحداً إثر واحد، وحدقت بهم لعلّي أتعرف أحداً منهم، إلى أن جاء دور أحدهم فعرفته واسمه الشيخ شلال، وكان شيخاً عربياً، ولقد فرحت وأردت مقابله، ورمت أن أتحرك فلم أستطع، وكأنّ رجليّ قد التصقتا بالأرض، وعندما كان العلماء يقدمون احتراماتهم لهؤلاء الجالسين يستقبلهم الإمام أمير المؤمنين (ع) مع واحد أو اثنين منهم من على جانبه، ويكون الباكون منهم مشغولين في حديث دائر فيما بينهم. وفي بعض الأحيان يقوم سبعة أو ثمانية منهم لاستقبال الوافدين عليهم من أولئك العلماء.

وأضاف الشيخ: وفي هذه الأثناء رأيت السيد الخميني يصل إلى الحرم، وكنت أنت خلفه، ويخلع حذاءه، ولما دخل رأيت أن هؤلاء الاثني عشر عندما رأوه قاموا إليه جميعاً، ثم عادوا إلى مجالسهم إلا الثاني عشر، فإنه تقدم نحوه وناداه: روح الله، فطوى السيد الخميني عباءته وأجابه: نعم سيدي، فقال له: تعال، فتوجه إليه بسرعة، وعندما وصل إلى محاذاته، رأيت أن الإمام المهدي (عج) أطول من السيد الخميني، وقد كانت أذنه تقابل فم إمام الزمان وقال له: ربع ساعة. فأجابه: على عيني.. الشيء الكذائي سأكمله.. سأكمله إن شاء الله.. واستمر حديث الإمام (عج) في إذن روح الله - وبسرعة فائقة - ربع ساعة كاملة، وبعد تمامها ابتعد عنه بمسافة متر أو مترين، ورجع للجلوس في مكانه. ورفع السيد الخميني يده كمن يرفعها للتحية، فرد الأحد عشر الجالسون على تحيته وتراجع السيد الخميني خطوات إلى الخلف دون أن يوليهم ظهره، ولم يذهب نحو الضريح.

ويضيف الشيخ: فقلت لم لم يذهب السيد الخميني إلى الضريح للزيارة؟! ف قيل لي: إن

أمير المؤمنين (ع) جالس هنا فلم يذهب إلى هناك؟! وتوجه السيد بعد ذلك نحو محل وضع الأحذية (الكيشوانية) وقدمت له حذاءه، وخرج من باب الصحن مسرعاً.

وانتبهت من النوم وبدأت أبكي، فنهضت زوجتي فرأت أنني أبكي، ونظرت إلى الساعة فكانت تشير إلى بقاء ساعة واحدة عن موعد أذان الفجر، فرجعت إلى نفسي أوبّخها وأتممت معها: يا رب تجاوز عن تقصيري وإسرافي، فأنا من الآن مؤمن بمنزلة هذا السيد الجليل. ولكني - لحد الآن - لست مرتاحاً، وأول عمل قمت به هو ذلك الذي شاهدته من تقبيلي باب دار الإمام وعتبتها، ولم يشاهد ذلك سواك، وقررت أن أنشر فضائل هذا الرجل العظيم.

والخلاصة إن قصتي هي كما رويتها لك، ولي رجاء منك أن تعرض قضيتي على الإمام حسب استطاعتك ليسامحني ويعفو عني.

وعند خروجنا من المسجد أخبرت الإمام بما دار بيننا، فقال الإمام: لقد عفوت عنه وسامحته عن كل بادرة منه. وجاءني الشيخ بعد ذلك يعدو وعيناه تذرفان الدموع يستجلي ما آلت إليه النتيجة، فأخبرته بأن الإمام سامحك عن أي عمل قمت به ضده، فوقع ساجداً لله شكراً، وأصبح بعد ذلك يحضر مجالس الإمام، وشمله الإمام بنظرة خاصة.

الدقة في الموعد وتفقد الآخرين في أشد الظروف

في الليلة التي توفي فيها صبيحتها الحاج السيد مصطفى الخميني، التقيت أحد السادة الوعاظ، من الذين كانوا يقصدون الإمام عند وجوده في الحرم المقدس لطلب أو استشارة، جاءني هذا الواعظ وقال: لي مطلب لدى الإمام؛ فهل أعرضه عليه أو لا؟ فقلت له: وما المانع من ذلك؟ ويظهر أن الواعظ المذكور كان يحذر من أن يكون هذا قد يؤدي إلى إرهاب كاهل الإمام مما يسبب له الإزعاج وعدم الراحة - كما كان يعتقد - لقلّة الموارد المالية الواصلة إليه من إيران، وسيتسبب ذلك في إرباك وضعه المالي،

ولذلك فقد جاء يسألني قبل أن يعرض طلبه على الإمام. وطلبت إليه إيضاح طبيعة الأمر، فقال: إن هناك رجلاً عاجزاً يدعى (الشوشتري) كان قد أصيب بالشلل منذ سنتين أو ثلاث سنوات، وهو رجل قارئ للقرآن، حسن التدين، أب لخمسة أو ستة أولاد صغار، وقد رجاني أن أذكره عند الإمام لغرض مساعدته، مما ألمّ به من مرض وفاقة. وفعلاً فقد عرض الواعظ الأمر على سماحة الإمام فقال له: "أخبر السيد فرقاني لكي يذكّرني غداً بذلك". ثم عاد لي وأخبرني بالنتيجة.

واتجه الإمام لزيارة الحرم المقدس، ولدى وصوله باب الصحن التفت إليّ وناداني قائلاً: "غداً وفي الساعة التاسعة صباحاً ذكّرني بموضوع هذا الرجل المريض". وكان لديّ دفتر صغير للملاحظات دونت فيه ما طلبه الإمام لئلاً أنسى، ولأني إذا نسيت فإن الإمام لن ينسى ويقوم هو بتنفيذ ما طلب.

كنت أخرج من البيت - يومياً - في الساعة الثامنة صباحاً، ولكنني خرجت في ذلك اليوم في الساعة السابعة والنصف، قبل مواعيدي الذي اعتدته، وما أن وقع نظري على الشارع حتى أبصرت تجمعات غير اعتيادية. كانت أمواج زاخرة من العمائم البيض قد ملأت الزقاق... ورجعت إلى نفسي أفكر فيما حدث... واعتراني هزة شديدة.. لأنهم كانوا متجمعين أمام منزل الإمام.. فماذا يعني هذا؟! وتقدم نحوي شيخ فاجأني بقول: هل ستأخذون جنازة الحاج السيد مطفي إلى كربلاء؟

فصعقت لهول النبأ، ولم تعد رجلاي قادرتين على الثبات فغمغمت قائلاً: ربّما إلى كربلاء، فأنا لا علم لي بذلك. واخترقت هذه الجموع الباكية الحزينة، ووصلت الباب فوجدت السيد أحمد الخميني قد اتكأ على الباب المغلق؛ حاسر الرأس يقوم أنا ويجلس أخرى بصورة لا إرادية، وهو يبكي ويندب أخاه الشهيد بهدوء وتحفظ، ثم اتجه إلى مجاميع الطلاب وطلب إليهم أن يهدأوا لكي لا يفاجأ الإمام بهذه المفاجعة فتؤثر عليه صحياً، ولكنه لم يدر أن "المؤمن كالجبل الراسخ

لا تحركه العواصف"، وهذا هو الخميني في رباطة جأشه.

وحرص السيد أحمد أن يجتمع وبعض الأخوة مع الإمام، ومن خلال الحديث الدائر في حضرته يمكن التلميح إلى تلك الحادثة المحزنة تدريجياً، للتخفيف من وقعها المؤلم على الإمام. وتم ذلك، وفي أثناء الحديث الدائر فيما بينهم وفق ما وضعوه من أسئلة واستفسارات حول مرض الشهيد المرحوم، لم يتمالك السيد أحمد نفسه فأنفجر باكياً، وحاول السيطرة على عواطفه الجياشة فلم يستطع، فالتفت الإمام إليه قائلاً: ما بك يا أحمد هل مات مصطفى؟! إن أهل السماوات يموتون، وأهل الأرض لا يبقون، وكلهم يفنون.. واتجه سماحته نحو الآخرين، وقال لهم: أيها السادة! إذهبوا إلى إنجاز ما ينتظركم من أعمال. وانسحبنا إلى باحة الدار، وسرعان ما انتشر الخبر، وانتقل الإمام إلى صحن الدار، وقصده كل العلماء العرب وجموع غفيرة لتقديم التعازي إليه، وكان العلماء العرب يلقون كلمات التعزية واحداً تلو الآخر.

وفي هذه الأثناء تذكرت موعد الساعة التاسعة الذي طلب الإمام إليّ أن أذكره به، وبقيت حائراً، كيف سيتسنى لي تنفيذ ذلك في مثل هذا الظرف الحرج؟! وسكت على مضض. وفي لحظة من اللحظات وجدت الإمام ينظر إلي شزراً، مما جعلني أعود إلى نفسي أسألها: ماذا عسى أن يكون في قيافتي غير منظم؟! ماذا حصل؟! وكان - دائماً - يتكلم معي بالنظرات. فتقدمت نحوه فقال لي هامساً: ألم يكن من المقرر أن تذكّرني في الساعة التاسعة بطلب الشيخ الواعظ، والآن الساعة تشير إلى التاسعة وعشر دقائق. وعظم الأمر عليّ وبينت بأن واقع الحال قد حال بيني وبين أداء هذا الواجب.

وأشار إليّ فتبعته إلى الغرفة، وسلّمني مظروفاً فيه مبلغ من المال، ختمه هو بنفسه دون علم أحد، وطلب إلي إيصاله فوراً إلى الشيخ الشوشتری بعد إبلاغه بحياته، والاستفسار عن أحواله. وحسبت أن في الوقت متسعاً، وأن الإمام

لن يذهب إلى المسجد ذلك اليوم للدرس وإقامة الصلاة، وأن الوضع لا يسمح لي بمغادرة المكان لكثرة الوافدين على الإمام لتقديم التعازي إليه، وبعد خمسة دقائق فاجأني الإمام بقوله: ألم تذهب حتى الآن؟! فأجبت: سأذهب حالاً.

وذهبت إلى منزل الشوشتري فطرقت الباب مستأذناً، وفتحت الباب امرأة مستفسرة: من الطارق؟ فقلت: مبعوث من السيد الخميني إلى الشيخ الشوشتري يستفسر عن حالته، وما أن سمعت المسكينة ذلك حتى تأثرت كثيراً، وانطلقت بالعويل والبكاء.. ودخلت الدار فسلمت على الشيخ المسجي في فراش المرض وقلت له: إن الإمام الخميني أرسلني إليك يستفسر عن حالك، وسلمته المظروف، فما كان منه إلا أن أظهر الحزن الشديد والأسف العظيم، وصاح وناح، ولم أفهم شيئاً مما كان يقول، فأوضحت زوجته قوله وترجمت لي كلماته، التي تضمنت تعبيره عن شكره وإعجابه لموقف الإمام في تفقده وصلته له، بالرغم من إصابته بهذه المصيبة الفادحة.. فيالله هذا القلب الكبير! ورفع يديه داعياً الله - سبحانه وتعالى - أن يحفظ الإمام، ويمنحه العمر المديد، وسجد لله شكراً بالرغم من شلل أغلب أعضاء جسمه.

وحينما عدت إلى بيت الإمام بادرنى بسؤاله: هل ذهبت إليه؟ فقلت: نعم. وبعد أن انفض الناس، وارتفع صوت الأذان لصلاة الظهر، أسبغ الإمام وضوءه، وأخبرني بأنه سيتوجه إلى المسجد لصلاة الجماعة.. فعجبت! وأرسلت من يخبر القيم في المسجد بأن يهيئ المكان للصلاة وحسب المعتاد. وعندما علم الناس بقدوم الإمام إلى المسجد لأداء الصلاة تجمهروا واحتشدوا، وكان يوماً مشهوداً، اختلطت الصلاة والدعوات فيه بالندب والبكاء، واعتري الناس العجب، وبدت ملامح الدهشة على وجوه الحاضرين، وهم يقولون: "الخميني لا يبكي لفقده ولده أبداً" وانعقد مجلس التعزية بعد أداء الإمام الفريضة، فبكى الناس عند ذكر مصائب أهل البيت (سلام الله عليهم

أجمعين) بكاءً مرّاً، وعبروا عن عمق تأثرهم بهذه المصيبة.

الفصل الرابع

حكمة الإمام وثباته

سماحة السيد دعائي

حكمة الإمام

من الأمور التي كان يسعى الإمام لاتخاذ جانب الدقة وبعد النظر فيها، هي الإجابة عن الأسئلة التي لها مساس بالقضايا الاجتماعية، بحيث لا يترك فيما يقوله منفذاً لكل من تسول له نفسه الصيد في الماء العكر، فيغيّر الكلام عن مواقفه وأهدافه الحقيقية، فيتخذ منه المغرضون وسيلة للانتقاد أو سوء الاستفادة.

كان الإمام الخميني (قدس سره) المبادر الأول من بين علماء الدين في العالم الإسلامي في مجال مساندة الثورة الفلسطينية ورجالها المسلمين في نضالهم، حينما أوعز إلى المسلمين للمشاركة في هذه الثورة بكل الامكانيات وخاصة المالية منها، فأصدر فتواه الشهيرة وقتذاك بإعطاء قسم من الحقوق الشرعية إلى مقاتلي الثورة الفلسطينية لدعمهم في مواجهة العدو الصهيوني. وكانت هذه الفتوى صريحة في بيانها ومعناها، وتعتبر أول فتوى من نوعها كان لها أكبر الأثر وكان لها صدى حسن، خاصة لدى الشعب الإيراني المسلم، الذي أبدى استعداده الكامل لتطبيق هذه الفتوى، التي طرقت مسامعهم ضمن نداء صادر من قبل الإمام. ومن ذلك المنطلق فقد استغل ذلك النداء أحد المستغلين، وكان من العناصر التي تقوم بتدبير شؤون عالم أحد المساجد المعروفة في طهران؛ فقد ادعى هذا الشخص أمام الملأ بأنه مأمور - من قبل الإمام - بجمع التبرعات، ومبالغ الزكوات، وأنه يحمل تخويلاً بتسليم هذه المبالغ وتجميعها لمنفعة الفلسطينيين، واستبشر الناس لهذه المبادرة الحسنة، وابتهجوا لأن الإمام - لاهتمامه الشديد بهذه القضية - قد أرسل من ينوب عنه لجمع هذه

التبرعات وحقوق الزكوات. ولكن بعضهم عادوا إلى أنفسهم متسائلين بدافع من الحيرة والتعجب. كيف تم اختيار هذا الشخص دون غيره؟ وهل هو منتدب من قبل الإمام أو لا؟!

وقطعاً لدابر الشك والريبة فقد حرر الأخ الشيخ كروبي رسالة، وحملها السيد إحساني إلى الإمام في النجف الأشرف، يسأل فيها عن حقيقة تفويض الشخص الفلاني - وكتب اسمه - من قبله، لتسلم المبالغ المذكورة ومدى صحة ذلك. وقد قدمت الرسالة إلى سماحته حال وصولها، وحينما طالع الإمام السؤال المقدم إليه، قال: أنا لا أستطيع الإجابة عن هذا السؤال. فقلت: لماذا؟ فقال: لأنهم ذكروا لي اسم هذا الشخص الصريح، وهو مرتبط عائلياً بإحدى الشخصيات العلمية التي هي في طريقها لتسّم المرجعية، وقد كانت تسكن النجف الأشرف في ذلك الحين، لذلك أرفض الإجابة عن السؤال، لأن الجواب سوف يؤثر على مكانة ذلك الشخص والشخصية الدينية التي يرتبط بها، ولا أرى من الصحيح استغلال هذه القضية بهذا الشكل، ويمكنكم - والحالة هذه - أن تطرحوا السؤال بهذه الكيفية: "هل أرسلت شخصاً من قبلك وأجزت له جمع التبرعات للجهة المذكورة أو لا؟" وأنا أجيب عن ذلك.

إن هذه الحادثة تلفت النظر إلى ما يميز الإمام (قدس سره) من بعد النظر والحرص الشديد على سمعة علماء الدين.

الوضوح والثبات

لقد أقمنا في العراق قرابة (11) عاماً، وكانت تلك الإقامة بسبب ما لاقيناه من المشاكل في إيران؛ فلأجل سلامتنا، وسلامة الكثير من الاخوان، اضطررنا إلى تلك إيران والتوجه إلى العراق؛ إذ لو كنّا قد بقينا في إيران لتعرضنا إلى الهلاك ولقضي على نواة المقاومة وعناصرها وفي تلك المرحلة نشأت معرفتي الحقيقية - عن كثب - بالإمام وبمجلسه.

من الملاحظ في الأوساط الحوزوية الدينية - وعلى الأخص فيما يتعلق بالشخصيات المرموقة

المرشحة للمرجعية، أو الذين صارت مرجعيتهم ثابتة - أنها تجتذب إليها أشخاصاً لهم القدرة على الإفادة والتأثير.

ولهذا السبب فإن الأفراد الذين لم يحسبوا - بعد - على حوزة مرجع معين يكونون هدفاً للكسب والتأثير عليهم، ويتم وضع برامج لكسبهم. أما ما لاحظته خلال ارتباطي بالإمام، فهو توجه الكثير من الإخوان والأصدقاء المخلصين إلى رحاب مجلسه، وانشدادهم إليه بعلاقة إيمانية عميقة، بسبب عدم اتخاذه أسلوب كسب الأفراد، أو جذبهم إليه، وهذا متأثراً عن اعتقاد الإمام بأنه مادام لكل فرد اعتقاده، فإن أساس العقيدة والفكرة الخالصة تنبع من هذا المنطلق، ويتاح له المجال الواسع للعمل في خدمة الله سبحانه وتعالى.

وكانت النتيجة أن أصبح بيت الإمام محوراً لتجمع الكثير من الأصدقاء المخلصين الصادقين، الذين يريدون خدمة الإمام.

وباختصار، لم يكن الإمام يجيز لأحد أو يسمح له أن يستغل اسمه، أو أسماء أصدقائه، لجذب الآخرين أو كسبهم للعمل معهم بأي حال من الأحوال.

وعلى هذا الأساس فقد كان الإخوان الموجودون هناك يتمسكون بصراحة متناهية في القول والعمل، في جميع ما يطرح على بساط البحث، أو يطرح على سماحة الإمام؛ إذ كان سماحته يناقش الأمور برحابة صدر، وبدون أدنى مجاملة ولا ملاحظة لأي شيء سوى رضى الله.

وكمثال على ذلك؛ ذهبت - يوماً - إلى الإمام في أمر من الأمور، وشرحت المسائل والحوادث التي حدثت في إيران، وخاصة تلك التي لها علاقة بتحريك يطلق عليه تحريك العلماء المتنورين والمناضلين، وعرضت له أنه يجب حماية هذه الحركة وتأييدها، وهي النتيجة التي توصل إليها الإخوان، وأن من لا يؤيد هذه الحركة سوف ينفصل عن الناس ويعيش العزلة جراء موقفه هذا.. ألقى ذلك على مسامع الإمام بصراحة وبكل احترام، وأضفت القول: إن عدم تأييد هذه

الحركة من شأنه التعرض للانزواء والانفصال عن الناس.

فتفضل سماحته قائلاً: إنني إذا أعطيت رأيي في شيء يوماً ما، وكان هذا الرأي سبباً لابتعادي عن الناس في قرية نائية، أو في جبل لا يقطنه بشر، وأكون مجبوراً للعيش فيه لوحدي، فإني - ومع كل ذلك - سأبقى اداًفع عن وجهة نظري، وسوف لا أبالي بما يحدث لي بعد ذلك، لأنها عقيدتي وفكرتي، وبموجبها اتخذت هذا القرار، وليس مهماً عندي أن يقبل رأيي، أو يؤيد بي ذلك إلى العزلة أم لا.

هكذا كان إصرار سماحته نابعاً من الفكرة والعقيدة اللتين يحملهما، وهذا ما كان لافتاً للنظر، لأن الكثير من كبار الشخصيات قد أعلنوا عن تأييدهم لهذه الحركة التي نشأت داخل إيران، ووقفوا إلى جانبها، وقصدوا الإمام يلحون عليه لإصدار تأييده لهذه الحركة، وأن يترك جانب الحياد، ولكن الإمام - بثاقب فكره ونظرته المتفتحة والواقعية التي كان يمتاز بها - شخص الحالة بأنها لا توجب حماية الحركة بهذا الشكل، خاصة وأنها لم تتوضح هويتها وأهدافها بعد.

وكانت هذه الحركة المسلحة - مجاهدي الشعب كما يطلق عليهم - قد تطلعت، منذ أوائل سني عمرها، التأييد والحماية من قبل الكثير من الشخصيات الكبيرة في الأوساط العلمائية والسياسية والدينية في إيران، وكان على رأسهم حضرة آية الله الطالقاني (رحمه الله)، وكانوا يطلبون من الإمام بيان موقفه، بتعابير عجيبية، في رسائلهم الموجهة إليه. وكذلك كان آية الله المنتظري وبعض الشخصيات الأخرى، وحتى المرحوم آية الله المطهري يؤيدونهم؛ ففي اليوم الذي تشرف بالمجيء إلى النجف الأشرف، وبعد أن توضح له الأمور قال: لقد انزلقنا - جميعاً - ما عدا الإمام لامتيازهم عنا بالنظرة الواقعية، والاعتماد على استنتاجه الفكري والعقائدي، بإصرار، في عدم تأييد القضايا والأشياء المبهمة، أو شبه المبهمة. ومن خلال تمسكه بهذه

الفكرة والعقيدة صان نفسه من الانزلاق، وقد توضحّت للملأ آثار هذه الحكمة بعد فترة من الزمن.

الفصل الخامس

الإمام قدوة في الوعي والعلم والسياسة

سماحة السيد حميد روحاني

جامعية علم الإمام

إذا أراد الإنسان المتتبع للسير ودراسة الشخصيات أن يتطرق إلى دراسة شخصية الإمام، وما تمتاز به من خصائص، فإنه - ومن خلال البحث والاستقصاء والتحليل - لن يستطيع إتمام بحثه هذا بكتاب واحد، بل يحتاج إلى عدة كتب. ولقد قيل في الأدب الفارسي "مثنوي هفتاد من كاغذ شود" أي إن ديوان مثنوي يزن سبعين مناً من الورق.. وخلاصة القول إن جمع هذه الخصائص والميزات في كتاب واحد لا يكاد يفي بالغرض المقصود، ولكن "إذا لم يطق المرء شرب ماء البحر فليشرب منه بمقدار ما يحتاجه لإرواء غليله"، "فما لا يدرك كله لا يترك جله".

أول صفة جديرة بالاهتمام يمتاز بها الإمام هي درجته العلمية، فإن الكثير من مجتهدينا وفقهائنا قد تخصصوا في فرع واحد من فروع العلوم الإسلامية، فمنهم من تخصص بالفقه، والآخر بالاصول، وآخر بالفلسفة. ومن النادر أن يوجد مجتهد له اختصاص عام بجميع موارد الفقه، وفي الوقت نفسه له اختصاص مماثل في علم الاصول، أو أن مجتهداً في علم الأصول بالدرجة الأولى، قد اجتهد أيضاً بعلم الفقه وبالفلسفة، وقد يكون فيلسوفاً وفقهياً في آن واحد، وأمثال هؤلاء من القلة النادرة. وفي هذا الوسط النادر نجد أن الإمام قد تجاوز الحد الطبيعي في مختلف العلوم، فهو - باعتراف الكثير من الأفاضل، والعلماء، وذوي الخبرة في الاصول والفلسفة وفي سائر المعارف الإسلامية - ليس له نظير بين

المراجع وعلماء الإسلام، ليس في تاريخنا المعاصر فحسب، بل وعلى مر التاريخ، إذ قلما نجد بين الفقهاء والمجتهدين في ذلك العصر من نبغ منهم في كل العلوم والمعارف الإسلامية (عدا من كان لديه مجرد الاطلاع على بعضها)، فعلاوة على الاطلاع الكافي، فإن الإمام كان يمتلك التخصص في ذلك.

وعلاوة على ذلك فقد كان ذا موهبة شعرية فائقة، وأتذكر أنني عندما قمت بنظم محتويات كتاب (جهاد النفس أو الجهاد الأكبر) شعراً، وبمناسبة تفضل سماحته - آنئذ - بإلقاء بحوث مستفيضة عن الأخلاق، بيّن لنا أن الكثير ينظرون إلى ما حولهم نظرة مادية محدودة، وعالمهم هو ذلك العالم المادي البحت، وليست لديهم نظرة أخرى غير ذلك، متجاهلين أن هناك شيئاً أكبر وأوسع من هذا العالم المادي، فنظمت بيتاً من الشعر:

"چو كرمي كه ميان سيب نهان است
زمین و آسمان او همان است"
ومعناه بالعربية: "مثل الدودة في وسط التفاحة؛ ترى السماء والأرض في ما وسعته هذه التفاحة فقط".

وقبل أن أدفع هذه المدونات إلى الطبع، طالع الإمام ما كتبت، فكتب رأيه بصدد هذا البيت موضحاً أنه غير موزون، فالشطر الثاني منه لا يتناسب والشطر الأول، حسب القافية والوزن الشعري، إلا إذا كتب على هذه الشاكلة:

"چو كرمي كه ميان سيب نهان است
زمین و آسمان او همان است"

فتمّ وزن البيت وترتيبه بصورة أحسن، ولم يتغير المعنى، وهذه ميزة أخرى امتاز بها الإمام، فهو إلى هذا الحدّ من الدقة وسرعة البديهة.

واتماماً لحديثنا عن الخصائص التي امتاز بها الإمام نقول: إنه امتاز بخصيصة النظر للإسلام من جميع جوانبه وأبعاده؛ فقد ربط العمل بعلمه ومعرفته، ووضع العمل المناسب في مكانه

المناسب؛ فالعبادة في محلها، والسياسة في محلها... فالقضايا السياسية والاجتماعية والاخلاقية كل منها في مكانها المناسب لها؛ إنه ينظر إلى جميع القضايا من وجهة نظر إسلامية دقيقة نظرة الدارس والباحث.

وأثناء وجودي مع الإمام، في النجف الأشرف، مدة تناهز الأحد عشر عاماً، لاحظت أن الإمام عندما تعرّض للقضايا السياسية الكبيرة، لم يغير من نشاطه في المثابرة على تدريس الفقه الإسلامي في الحوزة، ولا أصاب ذلك المنهج الدراسي شيء من البرود أو الإهمال. ولقد لاحظنا - نحن والكثير من طلابه - أن أغلب الحوادث السياسية كانت تحول بيننا وبين الحضور إلى الدرس، أو كنا نحضر الدرس ولكن ببرود وعدم اهتمام، أما الإمام فلم يكن يتأثر بما يحدث، وهو عندما كان يجلس على كرسي الدرس، ويبدأ بالتدريس، لم يكن همه إلا أن يعطي الموضوع حقه؛ ففي درس الفقه أو المسائل العلمية الأخرى، كان ينصرف كلياً للتحقيق والبحث فيها، وكأنه لم يحدث له أو للآخرين أي شيء، ومن ذلك يتبين لنا مدى اهتمامه بالفقه الإسلامي.

إحاطته بالوضع السياسي

أما عن علاقة الإمام وإحاطته بالجانب السياسي، فنستطيع هنا إبراز خاصية امتاز بها الإمام، وهي سرعة اكتشاف نقاط ضعف العدو، وأين تكمن، فيباغته بتوجيه ضربته من خلالها. فحينما تعرضت المدرسة الفيضية إلى الحملة الوحشية بتاريخ 2/ فرودين/ 1342 هـ.ش المصادف 22/ آذار/ 1963م كان الإمام قد أدرك أن تلك الحملة كانت لإسكات العلماء وإخراجهم من الساحة، وليكفوا عن إلقاء البيانات والخطابات، ومن أجل بث الرعب في صفوفهم وكذلك بين الجماهير. قام النظام بحملته الوحشية - تلك - على المدرسة الفيضية، وتضمخت الأرض بالدماء، وانتشر الرعب والخوف في أرجاء إيران كافة، وكان ذلك كافياً لأن يحبس الأنفاس في الصدور مدة خمسين سنة أخرى، ولكن الإمام - وببعد نظره -

أدرك ما يبيته النظام، وما اتخذ من تدابير قمعية، ومخططات جهنمية، فبادر إلى المواجهة وقاوم المؤامرة وأحبطها، بعزم وثبات لا نظير لهما، ولذلك قلما نجد أمثاله بين القادة.

فقد مرّ على حادثة مدرسة الفيزية أسبوع كامل، ومع ذلك، ظلت أبواب بيوت الكثير من العلماء والمراجع مغلقة، منذ يوم الحادث، وظل الكثير من العلماء وطلبة العلم قابعين في مساكنهم، ولم يجرؤون أي منهم على الخروج إلى الشوارع بملبسه وزيه العلمائي، كما كان الناس لا يجرأون على التقرب من منزل أحد من مراجع الدين.

لقد كان الرعب والخوف من الاحكام العرفية المعلنة قد ملأ الأنحاء كافة، بوضع غير اعتيادي موحش.

وفي هذه الأجواء المملوءة بالخشية والهلع، يباغت الإمام الناس بصدور بيان يقول فيه: "تأييد الشاه يعني السطو والنهب، وتأييد الشاه يعني قتل البشر، واستباحة الدماء، وتأييد الشاه ومحبته يعنيان هدم الإسلام، ومحو آثار الرسالة...". صدر هذا البيان وكان بمثابة الماء المنسكب على ألسنة اللهب، فأخمدتها بأسلوب طريف يجلب الانتباه، وبمهارة فائقة قام بضرب السلطة الجائرة بالصميم، وقلب خططها رأساً على عقب، مما جعل النظام عاجزاً مبهوتاً إزاء ذلك الموقف الذي امتاز بالانتباه إلى مواطن ضعف العدو، ليوجه له الضربة القاضية من خلالها.

ومن هذا المنطلق - أيضاً - وقبل (5/ حزيران/ 1964م) واجه النظام أعاصير الثورة في طول البلاد وعرضها؛ وبإيعاز من السلطة، استدعت المخابرات الإيرانية (السافاك) العلماء والخطباء في طهران وقالت لهم: "إننا لا نريد أن نقول لكم لا تنتقدوا الدولة إطلاقاً، ولا تتكلموا نهائياً، ولا تتطرقوا إلى القضايا السياسية أبداً من فوق المنابر وفي المساجد، ولكننا نريد منكم تجنب أمور ثلاثة فقط:

1 - ما كان موجهاً ضد الشاه.

2 - وما كان ضد إسرائيل.
3 - والقول المستمر بأن الإسلام في خطر.
وعدا هذه، فالخوض والقول فيه مباح لكم.
ولما وصل الخبر إلى مسامع الإمام، تفضل سماحته بالقاء خطاب في يوم (3 حزيران) تناول فيه إسرائيل بما لا يقل عن (10) أسطر قال فيها: "إسرائيل لا ترغب في وجود القرآن في هذه المملكة، إسرائيل لا تريد رجال الدين في هذه المملكة، وإنها لا تريد إلا القضاء على المسلمين في هذه المملكة، وتريد الهلاك والدمار لهذا الشعب، وتريد أن تشل الزراعة وتقضي على التجارة". ثم توجه بخطابه إلى الشاه قائلاً: "أيها المسكين! التعس الحظ، لقد انقضى من عمرك 45 عاماً، فتأمل قليلاً وتدبر أمرك. أنا احذر من أن تصل إلى مصيرك السيئ عندما يتخلى عنك أولياء أمرك وأرباب نعمتك، ويطيحوا بك، وآنذاك يحتفل الشعب ويعلن فرحته بسقوطك". وقد أطاح الإمام بصنم قل نظيره في التاريخ.

إرادة وتصميم

عندما كنا في النجف الأشرف خلال عام (1973م) طرق أسماعنا أن نظام الشاه قد أقدم على خطة للتفاهم والوفاق مع بعض علماء قم المقدسة، ومن جملة هؤلاء السيد شريعتمداري، وكان مقرراً أن يسافر الشاه إلى مدينة قم، وهناك يتقاطر عليه هؤلاء العلماء لزيارته، ويكون من جراء هذا الالتقاء والوفاق المقصود؛ ردم الهوة العميقة الموجودة بين العلماء والبلاط الشاهنشاهي، وقد قال شريعتمداري في حينه (كما نقله الراوي إلينا): "لا مانع لدي، ولكن ماذا أفعل مع رد فعل الإمام فيما بعد على هذا اللقاء".

وفي ذلك الحين اختير أحد العلماء - وكان بسيطاً ساذجاً قليل التجارب - لكي يقنع الإمام بأن من المصلحة في هذه الظروف أن يلتقي الشاه بعض علماء قم، فالمراد منه - من الإمام - ألا

يتصدى لما يحدث، ويترك الأمور تسير سيرها الطبيعي. ولم اشاهد الإمام حتى ذلك التاريخ يتناول شخص الشاه في بياناته وخطبه، لكنه أصدر في 16/ رمضان /1393هـ بيانه القائل:

"... شاه عديم الشرف، يظهر الموالاتة والخضوع لأمريكا، وبالواقع فهو تابع لها، حتى في دفاعه وحمايته لاسرائيل؛ إنه شاه إيران، الذي أطلق يد إسرائيل في أنحاء إيران كافة.. إنه الشاه الذي سلم نفط إيران لأعداء الإسلام والبشرية.. شاه إيران الذي رسم سيناريو لقيام التظاهرات المؤيدة من قبل العلماء التابعين للبلط، ومؤسسات الأوقاف والأمن، وباسم علماء الإسلام تصدر برقيات التهئة والتبريك!

وبأمر من هذا الرجل الخبيث، هوجمت مدارس البنات المسلمات، وهتكوا المحترمات منهن، وسلبوا منهن الحرية.. وإني أحس الخطر من تصرف هذا الخادم المطيع لأمريكا، على العالم الإسلامي.. وإن العلماء الأعلام والمبلغين يحتم عليهم واجبه الديني أن يفضحوا جنایات هذا العفریت المصاص للدماء أمام الملأ، وليكشفوا للناس دخائل نفسه الخبيثة، ليطلعوا عليها أكثر فأكثر. ولقد نبهت إلى خطر إسرائيل وأذنبها - وعلى رأس أولئك الشاه - مراراً وتكراراً.. وإذا ما بقيت هذه الغمامة الكثيفة مسيطرة على الأجواء فإن إيران سوف لا ترى الحرية أبداً".

وبناء على ذلك، فقد أغلقت جميع أبواب التفاهم والتباحث بين العلماء والطاغوت، وفشلت كل المساعي التي بذلت في هذا السبيل.

تشخيص نقاط ضعف العدو وضربها

لقد عمل النظام الشاهنشاهي المقبور على توطيد قانون الحصانة القضائية (الكابيتالسيون) في إيران، بعد أن جدد العمل بهذا القانون المجحف، الذي منح الأمريكيين المقيمين في إيران استثناءات قانونية واسعة، على حساب الشعب الإيراني، أعطتهم حق التمتع بحصانة دبلوماسية غير محدودة.. وقد شجب الإمام

ذلك التصرف الشائن، وبدأت عليه آثار الغضب والتأثر، وعرف النظام موقف الإمام تجاه هذه السياسة الخرقاء، وأنه لن يسكت عليه، بل سيواجه هذه الاجراءات ويتصدى لها بكل عزم وثبات. لهذا بادر النظام إلى تكليف أحد الأشخاص الذين لهم معرفة بالإمام، وله علاقة وارتباط بالنظام، لمقابلة الإمام وإقناعه بأن لا يتعرض لأمريكا في خطبه وأقواله. ووصل هذا الشخص إلى مدينة قم المقدسة، ولما استأذن للدخول على الإمام لم يسمح له الإمام بمقابلته! وفشل في مسعاه، فاضطر إلى مقابلة الأخ الشهيد المرحوم الحاج مصطفى، وبين له خلاصة القول الذي يريد قوله، والمتضمن بأن: "الجو الآن حساس ودقيق جداً، وأمريكا قد وظفت في هذا البلد ملايين التومانات لغرض كسب السمعة الطيبة بين الناس، لذا فإن أي كلام أو انتقاد يوجه إلى أمريكا فهو أخطر بكثير من أن يكون موجهاً إلى الشاه. وعليه فالسلطة ترغب في ألا يتعرض الإمام إلى أمريكا أثناء إلقاء خطبه وأحاديثه على الناس بأي حال من الأحوال، لأن ذلك أخطر مما لو أراد أن يتناول الشاه نفسه بالنقد والتجريح".

ومن ذلك ظهرت للإمام نقطة الضعف واضحة في كيان العدو المستبد، فصمم على ضرب قانون الحصانة المخزي، فخرج على الملأ الحاشد في مدينة قم المقدسة بخطابه التاريخي الخالد: "فليعلم الرئيس الأمريكي أنه اليوم من أبغض أفراد البشرية في هذا البلد؛ فالقرآن خصم له، والشعب الإيراني خصم له..". ومن خلال البيانات والمنشورات الأخرى التي أصدرها على هذا النهج، والتي تناول فيها أمريكا وسياساتها الاستعمارية، قام الإمام بهجومه العنيف لدرجة لم يسبق لها مثيل في تاريخ النضال والجهاد الإيراني أبداً.

ويتوضح بعد نظره أيضاً حينما سئل عن الدوافع التي جعلته يتوجه إلى إيران، فأجاب سماحته: لقد رأيت أن المسؤولين الأمريكيين قلقون جداً من عودتنا إلى إيران، وقد وجهوا لنا التهديدات

والتحذيرات المباشرة وغير المباشرة من العودة إلى إيران فصممنا على العودة إليها. ومن خلال النظرة الثاقبة تظهر للإمام نقاط الضعف جلية في بنية العدو وأين تكمن، وكيف سيسدد إليه الضربة الموجهة المؤثرة. وهذه خاصية حباه الله - عز وجل - بها وجعلها من الخصائص التي يتمتع بها لمنازلة النظام الكافر والاستعمار وكل أعداء الإسلام.

بصيرة الإمام النفاذة

لم تكن بصيرة الإمام النفاذة مشهودة في مواجهة الإمام (قدس سره) للنظام المقبور فحسب بل كان ذلك مشهوداً حتى في مواجهة الأشخاص والفئات المختلفة، ومن يأتون لمقابلته. ولقد سمعت من الأخ الشهيد الحاج مصطفى، أن الإمام كان يقول: "إنني حين أقابل أي شخص ويشعر بالكلام أدرك ما يريد قبل إتمامه حديثه".

ولما قامت مجموعة من الشباب الإيرانيين تنتمي إلى منظمة تطلق على نفسها اسم (مجاهدي خلق) باختطاف طائرة إيرانية من مطار دبي، هبطت بهم في مطار بغداد، حضر أحد أفراد هذه المجموعة عند الإمام وادعى "أنتمي إلى مجموعة من بأهدافها النهوض بأهداف الدين الإسلامي الحنيف، ومناصرة نهضتكم الإسلامية.. إننا سائرون على طريق الإسلام، نقرأ القرآن دوماً، وكذلك نهج البلاغة، ونبتغي منكم تأييد منظمنا".

فأجابه الإمام:

"أنا لا أستطيع تقديم التأييد لكم، قبل أن أطلع على هوية منظمتمكم؛ ويقتضي ذلك البحث والاطلاع على مدوناتكم وكتبكم".

وقد وعد هذا الشخص أن يحضر ما لديهم منها، كما خصص الإمام ساعة أو نصف ساعة من وقته - يومياً - لمقابلته والبحث في مدّعه. شهر مضى وكان هذا الشخص يحضر خلاله عندنا - كما أوضح الإمام - كل يوم، وقد تكلم كثيراً حول مناهجهم، وخططهم، وسوابقهم، وآرائهم "الإسلامية"،

ونظراتهم الخاصة في المسائل الإسلامية، والاجتماعية، والسياسية، والأمور المتعلقة بإدارة الدولة، وفي مختلف المسائل الأخرى. ويضيف الإمام: "كان هو يتكلم، وأنا أنصت له؛ تكلم عن برامج هذه المنظمة وأفكارها وأيديولوجيتها، واطلعت على ما قدمه من كتب ومطبوعات، وقرأتها فتوصلت إلى حقيقة واضحة هي: أن هؤلاء من أولئك المنحرفين اليساريين الذين يعرفون - حق المعرفة - أن الشعب الإيراني شعب تغلغل الدين في أعماقه وأكنافه منذ ألف سنة، ولذلك فإن أية حركة تولد في هذا الوسط ولا تستند إلى الإسلام، سوف يكون نصيبها الفشل. لذا فإن هؤلاء يريدون من تظاهروا بالإسلام، اتخاذهم ستاراً يطرحون من ورائه آراءهم، التي هي الآراء والمعتقدات الإلحادية نفسها التي تطرحها الفئات الماركسية والشيوعية الأخرى".

لم يؤيد الإمام هذه الحركة إطلاقاً، وكان حذراً منها، على الرغم من محاولات مختلف الأطراف والجهات السياسية والوطنية؛ إن كل الضغوط الناشئة عليه بهذا الخصوص لم تستطع أن تغير من إرادته وتصميمه شيئاً.

إن مواقف الإمام الشجاعة أثبتت أنه رجل الساعة، مع أن الجو كان في ذلك اليوم لصالح هذه المجموعة، التي تسنمت أوج قوتها، وأصبح يُحسب لها حسابها في الساحة، ولا يجرؤ أحد على التعرض لها بأي انتقاد، لأنه كان سيتعرض لضربة شديدة موجعة.

إن كثيراً ممن أعرفهم كانوا يعتقدون أن الإمام قد انتهى دوره في النضال، وأنه لعدم تأييده منظمة (مجاهدي خلق) وقع على إعلان فشله بيده، واعتزل الساحة! فقد كان الميدان ميدان هذه المنظمة فقط، ولا يوجد غيرها من سيتولى قيادة الجماهير، والسير بالثورة نحو تحقيق النصر - هكذا كان يعتقد هؤلاء -.

وفي الواقع ينبغي القول إن هذه الفئة كانت قد أوجدت لها موطئ قدم بين بعض الناس، وكان الإمام على علم تام بذلك، وكانت الرسائل تردده

تباعاً من إيران يقول بعضها: أن شعبية الإمام قد انخفضت بين الناس، وإن مواقفه ونضاله بدأ النسيان يلفها شيئاً فشيئاً. وقد احتل من يُدعون (مجاهدي خلق) هذه المكانة بين الجمهور. ولكن الإمام بقي كالطود الصامد، لم يفت كل ذلك في عضده، ولم يضعف قوة إرادته وتصميمه، ولقد أثبت للملأ وللعالَم - بعد حين - كم كانت خطيرة ومنحرفة تلك المجموعة، حيث أرادت الانحراف بخط الثورة عن أهدافها، بل كانت تريد القضاء على الإسلام قضاءً مبرماً.

حركتا "سياهكل" و"المنافقين" كيف دحرهما الإمام لما رأت أمريكا أن الثورة الإسلامية ونهضة الإمام لا يمكن القضاء عليها، أو إيقافها عند حدها، بالرغم من إبعاد الإمام خارج إيران، بعيداً عن موطن الثورة، وبالرغم من أحكام الإعدام والسجن الصادرة بحق العلماء واغتيال الثابتين منهم على مبادئهم الثورية، أمثال المرحوم الشهيد السعيد، وأنها لن تستطيع التأثير على هذه النهضة أبداً، وأنها فشلت في سياسة القمع والإرهاب والملاحقة والتشريد؛ سلكت سبيلاً آخر علّها تحرف النهضة عن خطها المستقيم. وفي المرحلة الأولى من هذه الخطة دفعت اليساريين إلى الوسط الاجتماعي في حركة عُرفت باسم (سياهكل)، وهي الحركة التي تألفت من مجموعة من الماركسيين والشيوعيين، وظهرت إلى الوجود خلال عام (1970م). وقد كسبت هذه الحركة شهرة واسعة بين الطبقات المسحوقة من الشعب الإيراني؛ هذا الشعب الذي تجرّع من الحرمان والاستبداد كؤوساً مترعة، حتى بلغت منه القلوب الحناجر من الفاقة والألم.. والغريق يحاول أن يتمسك بقشة - كما يقال -، لذا فقد وجد الناس في هذه الحركة زورق النجاة الذي ظنّوا أنه يتجه بهم نحو الآمال والأمان المغرية، دون إدراك منهم إلى مكامن الخطر في عدم اتباع الخط الصحيح السليم المؤدي إلى النهضة الحقيقية.

ولكن الإمام الذي كان يرقب - عن كثب - ما يدور في الساحة من ألعيب استعمارية خبيثة، وجه ضربة قوية وحاسمة للاستعمار، في رسالته المعنونة إلى اتحاد الجامعيين المسلمين في الخارج بما معناه: لا يخذعنكم الاستعمار بسياسته وأباطيله في البلدان والأقطار الإسلامية، فهذه الحركة (سياهكل) التي أنشأها في إيران، والجامعات اليسارية المشابهة لها في تركيا التي تسلت إلى معاهد الدراسة فيها، قد أحكمت الطوق على جامعاتها، وجرتها إلى إعلان الإضرابات عن الدراسة.. إن موجات الحركات اليسارية تغطي وتتوسع في المنطقة...

لقد أدرك الإمام بثاقب بصيرته النافذة الخطة الاستعمارية المرسومة والغاية المبتغاة من وراء دعم هذه الحركات، وفي هذا الوقت بالذات بادر سماحته إلى حماية الأمة من خطر الانحراف، وقد استطاع أن يقود النهضة نحو أهدافها الصحيحة، ووقاها من التيه والضلال.

ولو كان باستطاعة حركة (سياهكل) أن تفعل شيئاً فإنها تتمخض عن وقوع انحراف في مسير النهضة. أما منافقو الشعب فكان من الممكن - لو استطاعوا - أن يقوموا بتشويه صورة الإسلام، وتقديمه مقلوباً إلى الجماهير، وقلب مفاهيم نهضتنا من أساسها رأساً على عقب.

لقد طرح المنافقون مناهج وآراء استعمارية مما لو كتب لبعضها النجاح - لا سمح الله - لما أدركنا ضررها على هذه الأمة إلا بعد مضي خمسين عاماً عليها، وسندرك بعدها أي مقلب كانوا قد هيؤوه. وكمثال لذلك، فإن الاستعمار البريطاني استطاع أن يطرح خطة على أثر حوادث (المشروطة)، لم ندرك آثارها إلا بعد مرور خمسين سنة؛ فقد فهمنا الآن كيف حرفت الثورة عن خط مسيرها القويم في تلك الأيام، ولم يكن الشعب - آنذاك - على علم بما دبر له في الخفاء، وما كان يراد به. وبرامج منافقي الشعب مثال آخر لتلك المؤامرات التي أحكم اخراجها الاستعمار لمناهضة الإسلام والثورة، وكان سعيه يهدف إلى حرف مفاهيم الثورة

الإسلامية، وقلبها رأساً على عقب، حتى لا يبقى من الإسلام إلا اسمه، بالقضاء عليه قضاءً لا يمكنه بعد ذلك من أن يقف على قدميه، ويرفع رأسه كرامة أخرى خلال نصف قرن من الزمان.

وهذا هو الإمام الذي بادر مرة أخرى - وهو في موقع قيادته لهذه الأمة - لمواجهة أعظم الأخطار والكثير من مؤامرات الاستعمار بحكمة وصلابة، ثابت الجنان، مرفوع الرأس، فاستطاع الاستمرار في نهضته، وجنب المسلمين والثورة الإسلامية الانحدار لأية ورطة خطيرة صنعها الاستعمار، وتمكن من إبعاد الأمة عن دائرة الخطر، بخطة تاريخية لن تنساها الأجيال الحاضرة والقادمة أبداً.

القدوة في التهجّد والعبادة

من الخصائص الأخرى التي امتاز بها (قدس سره) هي نظرته الشاملة للإسلام وارتباطه الوثيق به، مما ساعد في انتصار نهضته المباركة؛ فقد ظهرت إلى الوجود بعض التصورات والرؤى التي انحرفت بالحقائق الإسلامية، وأصبح كل فريق يرى الإسلام وتعاليمه من خلال تصورات وفكره، وإلى مدى وبعد محدودين.

فبعض يرى الإسلام مقتصرأً على العبادة وصلاة وصيام، يعبد الله بهما، وحرام عليه ترك عبادته، والدين يوجب عليه الإمام بالمسائل الدينية؛ من حلال وحرام، وطهارة ونجاسة، إلى غير ذلك من الأمور الأخرى التي يحسبها الدين كله. بينما يرى آخرون أن الإسلام يعني السياسة، وأنه يوجب محاربة الظلم والظالمين.

ومما يروى عن الذين يدعون باسم (الجهة الوطنية) إبان اعتقالهم في السجون، إنهم كانوا لا يؤدون الصلاة، وعندما ينصحهم الناصح بأداء هذه الفريضة، ولم لا يؤدونها، كانوا يقولون: دعونا نعمل في خدمة الوطن، فالله لا يريد منا الصلاة، وأحسن صلاة لنا خدمة أوطاننا! وكان هؤلاء يدعون أنهم مسلمون.

وفي مقابل ذلك ثمة مجموعة أخرى من المسلمين يرون الإسلام في خدمة الشعب، ولا عبادة أفضل من خدمة الناس - في اعتقادهم -.

والواقع أن الإسلام قد احتوى فيما احتواه: الصلاة، والسياسة، والعبادة، وخدمة الناس، وكذلك النضال، والجهد، وبحث في جميع النواحي وعالجها. ولكننا نرى القليل منهم يفهم الإسلام محتوى ومعنى، ومن مختلف أوجهه وأبعاده. ومن هذا الوسط رأيت الإمام قائد الثورة الذي امتاز بهذه الخصائص؛ فقد كان على علم ومعرفة بأدق تفاصيل الإسلام، إذ امتلك من الميزات ما يؤهله لبلوغ القمة في الأمور السياسية، في الوقت الذي لم يكن فيه غافلاً عن المسائل العبادية، بل كان يؤديها بمنتهى العمق والدقة، ولم يكن اهتمامه بالمسائل المعنوية والروحية يمنعه من الاهتمام بالمسائل الاجتماعية والسياسية والعلوم الإسلامية.

ومما يؤثر عن سماحته أنه منذ وصوله النجف الأشرف وحتى اليوم الذي هاجر منها، كان دائم الزيارة لحرم الإمام أمير المؤمنين (ع)، يأتي كل ليلة إلى الحرم بعد مرور ثلاث ساعات من بدء الليل، لا يعيقه من ذلك الشتاء بمناخه البارد ولا الصيف بمناخه الحار، وكان ملتزماً لمنهجه هذا، ولم يتركه أبداً، إلا خلال أيام الانقلاب الذي حدث في العراق، وحالت أحكام منع التجول المفروضة دون حضوره في الحرم المطهر حسب العادة.

وقد نقل الأخ الشهيد المرحوم السيد مصطفى ذلك فقال: لم أجد والدي - مرة - في غرفته، فقلت في نفسي: أكون والدي قد ذهب إلى الحرم في هذا الظرف الذي فرض فيه منع التجول؟! وبحثت عنه هنا وهناك، إلى أن عثرت عليه واقفاً بمواجهة قبة الحرم، فوق سطح الدار، وهو يقرأ الزيارة بتوجه وخشوع.

ونقل لنا أحد الأساتذة بمدينة قم المقدسة أنه كان في إحدى الليالي بضيافة الحاج السيد مصطفى، قبل سجن الإمام ونفيه عن إيران، وكان يسكن ووالده الإمام في دار واحدة؛ يقول الاستاذ: انتبهت في منتصف الليل من نومي فزعاً على صوت بكاء ونحيب، في جانب من جوانب الدار. فقلت في نفسي ماذا حدث؟! فلقد اثر في البكاء

واقلقتني الهواجس، فأيقظت الحاج السيد مصطفى - الذي كان نائماً إلى جانبي - ليرى ماذا حدث، وسألته، فأجابني قائلاً: إن والدي مشغول في تهجده وعبادته.. ثم دلف السيد مصطفى إلى فراشه من جديد فنام.

القدوة في التواضع والزهد

ليلة (5/ نيسان/ 1964م) نقلت السلطة الإمام من سجنه في طهران إلى مدينة قم المقدسة، وما أن وصلنا مدينة قم في نحو الساعة العاشرة حتى هب الأهالي بجموعهم الغفيرة لاستقبال الإمام وبصورة لا توصف من الازدحام الذي اكتنف المنزل حتى الساعة 12.30 ليلاً. وبعد جهد ومحاولات إقناع تفرق الناس إلى منازلهم. ولقد شاهد الذين رافقوا الإمام والمقيمون في المنزل، أنه بعد أن استراح سماعته فترة لا تتجاوز الساعتين نهض لأداء النوافل والتهجد، ولقد أكد لي الأخوة الذين قضوا فترة من حياتهم بمعية الإمام، أنه منذ أكثر من خمسين عاماً والإمام لم يكن يغمض له جفن قبيل بزوغ الفجر.

ذلك أنموذج بسيط يبين لنا توجه سماعته نحو الأمور العبادية والمعنوية. هذا بالإضافة إلى أنه أحد السياسيين البارزين؛ إنه رجل السياسة وفارس ميدانها بكل ما في الكلمة هذه من معنى. إننا نرى في شخصه منتهى الخضوع والخشوع والتبتل، بعيداً عن الاستكبار والغرور وحب الذات، لدرجة تدعو إلى التأمل والاعجاب.

وعندما طُبعت رسالته العملية (تحرير الوسيلة) في النجف الأشرف كتب الناشر على غلافها عبارة (زعيم الحوزة العلمية) قبل اسم الإمام، ولما كانت عبارة (زعيم الحوزة العلمية) تُطلق آنذاك على السيد الخوئي، فإن الإمام - وحينما طالع تلك العبارة على غلاف كتابه - لم يرضَ بها، فطلب المسؤول عن ذلك وسأله عمَّن حوَّله كتابة تلك العبارة، وأبلغه أنه إذا لم تُحذف هذه العبارة عن الكتاب، فسوف ترمى جميع نسخ الكتاب في النهر، مما اضطر القائمين بالطبع إلى اتخاذ ما يلزم لمحو

العبارة المذكورة، ولئلا يظهر شيء منها، ولا زالت بعض النسخ الموجودة منها شاهدة على ذلك.

أما عن تواضع الإمام وعدم اهتمامه بالمسائل الدنيوية، ففي مجالس التأبين والفواتح التي كانت تقام في النجف الأشرف عند وفاة العلماء كان سماحته ينتظر انتهاء العلماء - الذين هم من الطراز الأول - من إقامة مجالس الفاتحة، ثم الطراز الثاني، ويأتي دور الطلاب وأفاضل الحوزة، وبعد انتهاء هؤلاء جميعاً يقيم الإمام مجلس الفاتحة.

ولما توفي المرجع المرحوم السيد الحكيم وأقيمت مجالس الفاتحة في النجف الأشرف على روحه الطيبة، كان مجلس الفاتحة المقام بأمر من الإمام آخر هذه المجالس. ومن الطريف في الأمر أن يتم الإعلان عن ذلك عبر مكبرات الصوت في مآذن الحرم المطهر بالقول بأن السيد الخميني يقيم مجلس الفاتحة بهذه المناسبة، والاكتفاء بتحديد الزمان والمكان لتنبئيه الجمهور إلى ذلك. وقد قرأ المعلن اسم الإمام مجرداً عن عبارات التعظيم والاحترام، مما حدا بالسامعين إلى أن يهاجموه، وكادوا أن يضربوه؛ فقد حسبه يتعمد الخط من منزلة الإمام، لولا إفصاحه بأن ذلك لم يكن عن تقصير منه، وإنما كان حسب إيعاز صادر من الإمام نفسه بأن يقول ما قال ولا يزيد على ذلك حرفاً واحداً!

ويوماً جاء من إيران أحد العلماء إلى النجف الأشرف بعد وفاة المرحوم السيد الحكيم، وقال للإمام بأن شخصاً من علماء طهران حملني لكم رسالة شفوية يقول فيها: إن عدم اهتمامك ببعض رجال الدين والجهات العلمائية جعل الكثير من العلماء يوجهون الناس إلى تقليد غيركم في أمور المرجعية، بعد وفاة المرجع السيد الحكيم. وكان المقصود من ذلك تنبيه الإمام إلى هذه الناحية، فأجابه الإمام: بلغ سلامي لهذا السيد وقل له: كلما أبعدتم الناس عني فإن ذلك سيريحني أكثر، وستكون واجباتي ومسؤوليتي أقل وأسهل.

من خلال ذلك كله نرى أن هذا الشخص الذي يعطي الأهمية كلها للأمور العبادية والمعنوية، يبرز - أيضاً - في المسائل والقضايا السياسية، ويكون حاذقاً - كذلك - في الأمور الاجتماعية والإدارية؛ يتعامل معها ويتصرف بحكمة بالغة وببعد نظر حاد، ممّا لم نجد له نداً إلا بين القلة القليلة من أمثاله، لذا فقد كان رجل السياسة الماهر، العابد المتواضع، الذي سلك سبل العرفان فعزف عن الدنيا ومغرياتها.

القُدوة في تركيز الذهن

كما قلت سابقاً بصدد الحديث عن سيرة الإمام (قدس سره) إن من الخصائص التي امتاز بها هي رؤيته الإسلام من جميع أبعاده وجوانبه، يحيط به علماً ومعرفة، ويقرن العلم بالعمل، ويضع العمل المناسب في مكانه المناسب؛ فالعبادة في محلها، والسياسة في محلها ولجميع المسائل الأخرى - الاجتماعية والأخلاقية والسياسية - مكانها المناسب. وهكذا كانت نظرته إلى جميع القضايا الإسلامية نظرة جدّ ودراسة وبحث وتمحيص. وخلال وجودي مع الإمام في النجف الأشرف مدة (11) سنة، لم يحدث خلال هذه الفترة من الزمن - رغم ما تضمنته من حوادث وقضايا سياسية كبيرة - أن تلكأ الإمام في المضي قدماً في تدريس منهج الحوزة والفقّه الإسلامي، أو أن يؤثر عليه أمر في مواظبته وسعيه في هذا المجال؛ فلقد كنتُ، والكثير من طلابه، لا نحضر دروسه في مثل تلك الحوادث والوقائع، أو نحضرها ولكن ليس بمستوى كبير من الاهتمام اللازم والتهيؤ الكافي لاستيعاب تلك الدروس، ولكن الإمام - وفي أدق اللحظات، ومهما عظمت الحوادث والقضايا الطارئة - لا يعير هذه الأمور أدنى اهتمام؛ فكان يجلس ليدرس الفقّه، ويشرح المواضع بتعمق كبير، وبحث علمي مستفيض، وكأن شيئاً لم يحدث سواء له أو للآخرين؛ ومن ذلك يتبين لنا مدى اهتمامه بالفقّه الإسلامي.

من ذلك مثلاً، في اليوم الذي قام فيه نظام الحكم البعثي المعادي للإسلام في العراق بإلقاء

القبض على نجله الأكبر العلامة الشهيد المرحوم الحاج مصطفى "أعلى الله مقامه" وبعثه إلى بغداد، لم يتغير منهج الدراسة في حوزة الإمام، ولم يطرأ عليه أقل تغيير، بل نستطيع القول بأن الدرس كان أعمق وأوسع في مختلف المباحث العلمية المطروحة آنذاك.

وفي أعقاب استشهاد المرحوم السيد مصطفى، بشكل غير متوقع، والذي كان فقدانه مصيبة ما مثلها مصيبة على أصدقائه وأحبائه، وبالرغم من فداحة الخطب بقي الإمام كالجبل لا تحركه العواصف ولا تهز كيانه الأحداث، وقد أذهل الآخرين، حينما اعترض سماحته على زعماء الحوزة وعلمائها لتعطيلهم الدراسة بهذه المناسبة المؤلمة، وطلب إليهم عدم التعطيل.

إذن، فالإمام لم يمنع من أداء وظائفه ومسؤولياته أي حادث أو واقعة؛ فعندما يقوم بالتدريس لا يعير اهتماماً لأي شيء سوى الدرس.

إن الإمام - لاهتمامه الكبير بالحوزات العلمية، والدراسة والبحث في العلوم الإسلامية - لم يكن مستعداً أبداً لتعطيل الحوزة العلمية بسبب استشهاد ولده وفلذة كبده، كما لم يمنعه أداء وظيفته في الحوزة من أداء مسؤولياته الأخرى، وهو لم يبخل على الحوزة بعلمه وفكره وجهوده مهما كانت الظروف والأحوال، وسيبقى القدوة والمنار ليقتبس منه أولئك الذين تمنعهم مسؤولياتهم من أداء وظائفهم الدينية؛ إنهم يمتنعون عن النهوض بالواجب بحجة الحفاظ على الحوزات، وأنه إذا سلكوا طريق الجهاد فستصاب الحوزات بضربة شديدة قاصمة، وسيحرم الطلاب - أثر ذلك - من نعمة الدرس والتحصيل العلمي!

القدوة للعابدين العاملين

تطرقنا - فيما سبق - إلى اهتمام الإمام بالمسائل العبادية والمعنوية وأوردنا طرفاً من الحوادث والوقائع كأمثلة لذلك. ولقد ذكرنا الأهمية البالغة التي كان يوليها للعبادة والتهذيب وتربية النفس. إن اهتمام الإمام

بالأمور العبادية، والأمور المعنوية، والتربية والأخلاق، لم يكن معناه الانعزال في إحدى الزوايا والانقطاع لتلاوة الذكر والورد ونسيان كل شيء - كما يظن بعضهم من أن الاتصال بالله ودوام ذكره لا يتم إلا عن طريق تلاوة الأوراد والأذكار والتسبيحات - لذا فقد كان الإمام يتبع نهجاً آخر يختص به نفسه. والكثير من الذين عايشوا الإمام وكانوا على مقربة منه يقولون: إن الإمام (دائم الذكر) وإن قلبه ينبض بذكر الله دائماً وبغاية الاطمئنان {ألا بذكر الله تطمئن القلوب} حتى ولو كانت يده خاليتين من المسبحة، أو أن شفثيه لا تتحركان بالذكر إطلاقاً.

فخلال السنوات الطويلة التي قضيتها مع الإمام في النجف الأشرف، وفي أثناء الزيارات العامة والمجالس المنعقدة كل ليلة، كان يعم المجلس هدوء نسبي قد يتجاوز مداه نصف ساعة أو أكثر، لم أكن أشاهد الإمام خلالها مشغولاً بتلاوة ذكر أو تسبيح، إذ لم تكن شفثاه تتحركان أبداً، بيد أن كثيراً من الأفراد المتدينين الذين قضوا زمناً ليس بالقصير على مقربة من الإمام يؤكدون أنه كان لا يسهو عن ذكر الله، فهو يلهج بالحمد والثناء والشكر لله الخالق الواحد الأحد، لذا فإن ذكر الله - سبحانه وتعالى - وتمجيده ليس باستعمال المسبحة فقط، وبتحريك الشفاه، بزمزمة وانفعال ورياء، بمثل ما ابتلي به بعض الناس.

بالرغم من انشغال الإمام بذكر الله فإنه يكره التظاهر بذلك، وهذه خصوصية أخرى امتاز سماحته بها.

ومن هذه السيرة نرى أنه بالرغم من اهتمامه بالزيارة والعبادة والدعاء، فإنه لم يكن ينسى الكثير من الأشياء الأخرى؛ فلم يتخل عن النهوض بمسؤوليته في معالجة مشاكل الناس، ورفع المظالم عنهم، وتقديم الخدمات لهم. إنه لم يدر بخلده - يوماً - أنه لو انشغل بالدعاء والزيارة، ينسى الكثير من الأشياء ولا يحس بأية مسؤولية، ويحمل الآخرين إنجاز أعماله الشخصية،

فيلقي بأمور معيشتة عبثاً على عاتق الآخرين، يتصور نفسه أنه من أهل الصلاح والتقوى، لأنه يحمل المسبحة بيده ويألف المشاهد المشرفة والمساجد معتكفاً لا يهتمه إلا الذكر والورد والدعاء!

إن الإمام - وخلال مدة وجوده في النجف الأشرف، التي لا تقلّ عن خمسة عشر عاماً - كان يقوم بزيارة الحرم المطهر كل ليلة وبصورة مستمرة، عدا بعض الاستثناءات الطارئة، عندما كانت تُعلن الأحكام العرفية ويفرض نظام منع التجول في الأنحاء كافة، عند ذلك يرتقي الإمام سطح الدار ويولي وجهه شطر المرقد المقدس فيتلو الزيارة والدعاء.

الإمام والتواضع ونكران الذات

نقل لنا أحد العلماء فقال: لقد استقر رأي الإمام في إحدى السنين الماضية - وكان الفصل صيفاً - على أن نسافر من قم مع بعض العلماء إلى مدينة مشهد المشرفة، فاستأجرنا هناك داراً للإقامة، ووضعتنا برنامجاً نسير بمقتضاه، يبدأ بالراحة لمدة ساعتين لقيولة الظهر، ننهض بعدها من النوم فنتوجه إلى الحرم المطهر، وبعد أداء مراسيم الزيارة والصلاة والدعاء نعود إلى الدار، ونجلس في ايوانها لتناول الشاي. ولكن الإمام (قدس سره) طرح لنفسه برنامجاً آخر، تضمن أن تكون مراسيم الزيارة والدعاء مختصرة ثم يعود وحدة إلى البيت حيث يقوم برش الساحة بالماء، ومن ثم فرشها وتهيئة عدة الشاي، حيث يجهز كل شيء، ليعود الجميع بعد ذلك للاستراحة وتناول الشاي. وسألت سماحته: كيف تختصر الزيارة والدعاء لتعود إلى البيت في سبيل إعداد الشاي لنا؟! فتفضل سماحته قائلاً: أنا أرى أن ثواب هذا العمل لا يقل عن ثواب الدعاء والزيارة!

قد يتخذ بعضهم من هذا السلوك مستمسكاً فيتوجه لخدمة المجتمع، فلا عبادة أفضل من خدمة الناس؛ فليست العبادة في سجادة ومسبحة ودعاء! ولكن نقول لهؤلاء يجب أن يتدبروا قول الإمام

ويتفهموه، فلقد قال: إن ثواب رش الماء والتنظيم وإعداد الشاي لرفقاء السفر لا يقل عن ثواب الدعاء والزيارة.

وقد قلنا - فيما سبق - إن الإمام - خلال مدة إقامته في النجف الأشرف - لم يكن يتأخر عن زيارة الحرم المطهر كل ليلة إلا في الحالات الاستثنائية. كما كان يزور ضريح الإمام الحسين (ع) في أغلب أيام زيارته. وفي عشرة عاشوراء كان يواظب على تلاوة زيارة عاشوراء المعروفة، بما فيها من سلام يكرره مئة مرة، ولعن الظالمين لمحمد وآل محمد (عليهم السلام) مئة مرة. ولم يصادف أن طلع عليه الفجر الصادق وهو نائم منذ خمسين سنة! فكم كان يهتم بالتهجد وقيام الليل.. كان يصوم شهر رمضان في النجف الأشرف، في ذلك المناخ الذي لم يألفه ودرجات الحرارة قد تبلغ الخمسين، وفترة الصيام تمتد إلى 18 ساعة يومياً، ولا يتناول الفطور إلا بعد أداء صلاتي المغرب والعشاء والتعقيب بالنوافل، وهو بذلك السنّ. هذا هو الإمام، وهذه هي سيرته ومنهجه.

وعندما وصله نبأ قرار النظام البعثي الفاشي في العراق إعدام نخبة رساليّة مؤمنة، منهم المرحوم القبانجي والبصري ورفاقهما ظلماً وعدواناً، والشمس تنحدر نحو الغروب من ذلك اليوم، لم يقم صلاة الجماعة، واستدعى قائم مقام النجف والمسؤولين الآخرين، للعمل على إنقاذ هذه النخبة المسلمة من هذه الجريمة المؤلمة. وفي الحقيقة أنّ الخط الذي انتهجه الإمام كان محفوفاً بالمصاعب والمشاكل ولا يمكن لأي فرد سلوكه.

إنّ المصائب التي أصابت المجتمع الإسلامي كانت من جرّاء الإفراط والتفريط، فبعضهم يعتقد أنّ العبادة لا تتجاوز القيام ببعض الشعائر والأدعية ولم يدرك من الإسلام غير هذا. يقابل هؤلاء في الجانب الآخر أفراد لا يقيمون وزناً لهذه الأمور.. ولا يخفى أنّ الطرفين المذكورين كانا غير صحيحين، وأنهما بعيدان عن خط الإسلام والإمام.

الإمام نموذج في التقوى والورع

قال الإمام الصادق (ع) :

"كونوا دعاة للناس بغير ألسنتكم ليروا منكم الورع والاجتهاد والصلاة والخير، فإن ذلك داعية".

لقد نبّه الإمام الصادق (ع) الأمة بقوله هذا إلى أنّ الهداية إلى سبيل الصلاح والخير لا تتم إلا عن طريق الإرشاد بالأقوال والأفعال؛ فالإنسان المهذب الجيد في ورعه وتقواه يكون مثلاً حياً، وأنموذجاً بارزاً للآخرين في السير نحو سبيل الهداية والرشاد؛ ومن المؤكّد أنّ الإنسان المهذب والذي بذل من الجهد والسعي الشيء الكثير حتى تسنّت له السيطرة على نفسه فأحسن تربيتها وقيادها، سيكون في أعماله وأفعاله دليل هداية وإرشاد للناس الآخرين.

ومن النماذج التي تعدّ قدوة في هذا المجال سيرة الإمام الخميني (رضوان الله عليه)؛ فلقد كان المثال البارز بين من يتحلّى بهذه الصفات، إذ إنّّه - في حركاته وسكناته وأعماله - مثال رائع للهداية والارشاد، ولقد كانت لي في هذا الجانب خواطر وذكريات عن أعمال الإمام، ما أزال أتذكرها، ومنها:

1 - في أحد الأيام ونحن في النجف الأشرف، عزم الإمام على الخروج لأداء صلاة الجماعة، وكنا برفقته، وعندما وصلنا إلى باب غرفة الاستقبال رأينا أحذية الناس قد تكدّست بعضها فوق بعض، فلم نر بُدّاً ولا مهرباً من أن نطأها بأرجلنا، أمّا الإمام فقد توقّف برهة، وامتنع من أن يطأ الأحذية، بل أمر بجمعها وتنحيتها عن الطريق لكي يفسح المجال للسير وعدم الإضرار بها، مما ذكرنا بأنّ ذلك لا يخلو من إشكال وإضرار هو بمثابة التصرف والإضرار بأموال الآخرين.

إننا لم نكن نولي مثل هذه الأمور أهمية كبرى، بل كنّا غالباً ما نطمئن أنفسنا أو نسوغ لها مثل هذه التجاوزات (بأنّ أصحاب الأحذية سيرضون عنا ويتجاوزون عن وطئها إن شاء الله). ولكن الإمام كان في موقفه هذا أدق وأعمق في

التفكير مئاً، إذ كان يحسب للعقاب والجزاء يوم القيامة حسابه: {فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره} (الزلزلة: 7 - 8).

2 - كان الإمام، إذا ما حضر مجلساً عاماً، يجلس في أيّ مكان خالٍ، وغالباً ما كان يجلس عند الباب حيث الناس المستضعفين والكسبة، خلافاً لما كان عليه الآخرون الذين يستطيّبون الجلوس على الكراسي، أو يختارون صدر المجلس حتى ولو كان أماكن اختيارهم تضيق بالجالسين، ممّا يسبّب أذى الآخرين.

3 - كان الإمام ينفرد لوحده في تجواله وزياراته. وينقل لنا السيّد صانعي: أنّه في يوم من الأيام - والإمام كان يومذاك في مدينة قم - أراد سماحة الإمام أن يذهب لزيارة أحد العلماء، ولكنّه كان لا يعرف عنوانه، فطلب إليّ تزويده بعنوانه، فعرضت عليه أن أسير معه لأدلّه عليه، فأبى! ولقد أصررت على ذلك كثيراً ولكنّه أبى ولم يقبل.

في التواضع وتجنّب المظاهر

وخاطرة أخرى لنا حصلت في النجف الأشرف، وكلما تذكّرتها استغرقت في الضحك؛ فبعد انتهاء الإمام من درسه - الذي كان يلقيه في مسجد الشيخ الأنصاري - علم الأصدقاء والإخوان بأنّ الإمام عازم على زيارة المرحوم العلامة الأميني لعيادته في مرضه، وفعلاً فقد تبعه جمع من الإخوان. ولما وصل الإمام إلى منزل العلامة وقف للاستيذان، والتفت فرأى خلفه جمعاً غفيراً، ولم يرغب في أن يردّهم، وكان المنزل المذكور يحتوي على باب رئيس يؤدي إلى ممرّين أحدهما يؤدي إلى الديوان والآخر إلى الحرم، وكان الباب الخارجي موارباً (مفتوح قليلاً)، وبحركة سريعة دخل الإمام إلى الممرّ وأغلق الباب وراءه، ومن هناك طلب الاذن للدخول على العلامة (رحمه الله).

لقد ترك الإمام الجمع أمام أمر واقع أوضح لهم فيه عدم موافقته على متابعتة في مقصده

الذي توجه إليه، ليؤكد لهم أنه كان مضطراً لهذا السلوك الذي سلكه!

وحينما عاد الحجاج الإيرانيون في سنة 1348 هـ.ش (1969م) من أداء فريضة الحج بعد أن مُنح عشرة آلاف حاج منهم سمة الدخول إلى الأراضي العراقية، لزيارة العتبات المقدسة.. وقد شهدت مدرسة البروجردي في النجف الأشرف حضور جمع غفير من أولئك الزوار في صلاة الجماعة التي كان يقيمها سماحة الإمام، وكانت الغالبية منهم ترغب في السير في ركاب الإمام؛ تهتف وتردد الصلاة والسلام على محمد وآله الأطهار، بعد الانتهاء من مراسيم الصلاة، حتى إيصاله إلى مقر سكنه. بيد أن الإمام كان يأمر - في كل ليلة وبعد أن ينتهي من أداء الفريضتين، وقبيل مغادرته المدرسة - بتبليغ الحاضرين جميعاً بأنه ليس لأحد الحق في أن يخرج معه من المدرسة مباشرة، فلذلك كان الزوار يمكثون في أماكنهم حتى إذا ما ابتعد الإمام عنهم تفرقوا زرافات ووحداً.

كان الإمام يحذر الزوار الإيرانيين من متابعته في سيره أينما سار، مع صعوبة حياة الوحدة وعدم وجود المساعد، في مواجهة النظام العراقي الظالم الذي كان يسعى جاهداً لكي يجعل الإمام قابلاً في زاوية ضيقة من زوايا مدينة النجف منعزلاً عن الناس.

ولربما كانت حركة الإيرانيين في السير خلف الإمام - مع ما في ذلك من إبراز لتلك المشاعر والأحاسيس العميقة التي لها أبعد الأثر في نفوس أولئك النفر المعادي - تُعدّ أمراً ضرورياً ولازماً له في تلك الظروف، ولكن الإمام - الذي كان توجهه واتصاله بخالقه العظيم لم يكن يرى غيره سداً يتوكل عليه، ولم يكن يشعر - مطلقاً بأنه وحيد وليس له معين - لم يكن محتاجاً أبداً لتبيان ما لديه من القدرة من خلال تجمع الزوار حوله والسير وراءه أينما سار.

سعادة الإمام بالاختلاط بزوار الأئمة (ع)

كان الإمام لا يرضى أن يقوم أحد بدفع الناس عن طريقه أثناء الازدحام، فقد شاهده - مرة - في الحرم المطهر بالنجف الأشرف في غمرة من الازدحام الشديد، وقد بلغ الضغط لدرجة يصعب فيها على أمثاله من الشيوخ أن يشقوا طريقهم دون أن يصيبهم من جراء ذلك أذى ومكروه، خاصة وأن الكثير من أبناء القرى والأرياف الزوار الذي يشدهم الشوق للاندفاع نحو الضريح أو التمسك به كانوا لا يبالون بتحريكهم وسلوكهم، وغالباً ما كانوا يصطدمون به غير مباليين.

كان الإمام سعيداً بتحمل جميع الضغوط والمعاناة التي يلاقيها في المشاهد المشرفة، ولكنه كان لا يتحمل - أبداً - تطوُّع الآخرين في دفع الناس والزائرين لفتح الطريق أمامه.

ولقد شاهد السيد علي الشاهرودي ابن المرحوم آية الله الشاهرودي (أعلى الله مقامه) الإمام - يوماً - في غمرة من الازدحام الشديد في حرم أمير المؤمنين (ع) فتعلقت عيناه بالإمام وهو بين أمواج من الكتل البشرية، وخشي عليه من خطر الوقوع تحت أرجل الناس، فجاء إلى الرجلين اللذين كانا يسيران بمعينة الإمام، وأنكر عليهما عدم إزاحة الناس عنه، وقال لهما بحدة بالغة: أتنظران من الإمام أن يفتح هو لكما الطريق ليسهل عبوركما بين هذا الحشد الهائل من الناس؟! فقالا له: لا نجرؤ على مخالفة الإمام، لأنه لا يرتضي لنا أن نكف الناس عن طريقه بأي حال من الأحوال. وغلب الغضب على السيد علي فخلع عباءته وكورها بين يديه وتقدّم بهمة وعزيمة ليفتح الطريق من أمامه بالصلوات على محمّد، وآل محمّد فما كان من الإمام إلا أن ربّت يده على كتفه ومنعه من ذلك.

ونقل الأخ الفقيد المرحوم السيد إملائي أنه كان في يوم من الأيام في زيارة حرم سيد الشهداء الحسين (ع) فشهد الإمام الخميني (قده سره) في وسط موجة من الازدحام الشديد، وهو لا يستطيع أن يتقدّم رجلاً إلى الإمام، فما كان منه إلا أن أسرع ناحيته ليكف الناس عن طريقه، ولكن

تغير ملامح الإمام دلّهُ على عدم رضاه عمّا قام به، ومع ذلك فقد واصل كفّ الناس عنه وفتح الطريق أمامه، وبغته غير الإمام خطّ سيره ولم يسلك الطريق الذي هيّأه له، بل حشر نفسه في غمرة الازدحام كزّة أخرى، ليسلك طريقاً آخر يرتضيه هو لنفسه.

وبعد انتصار الثورة الإسلامية دأب التلفزيون على عرض صور الإمام وهو بين جموع الشعب الغفيرة في إيران الإسلام، وذلك في مساء كلّ يوم وقبل الشروع في سرد الأخبار. ولو دققنا النظر مليّاً في هذه الصور لرأينا جليّاً كيف أنّ الإمام كان قد اعترض على أحد أفراد حرس الثورة الإسلامية - بتأثر بالغ - حينما أراد أن يزيح الناس عن طريقه، ناهيك عن النظرة الحادة الصارمة التي واجهه بها.

الإمام في الاعتماد على النفس والجُلْد

وممّا أحفظه في ذاكرتي: أنّ الإمام كان ملتزماً - وبحسب استطاعته - بعدم إلقاء أعباء أعماله على الآخرين للقيام بها، بل إنه كان يقوم بأداء أعماله بنفسه؛ ففي النجف الأشرف، وفي أمسيات فصل الصيف، والإمام مستلقٍ في فراشه فوق سطح الدار ينتبه إلى أنّ أحد المصابيح في المطبخ أو المرافق الأخرى الكائنة في الطابق السفليّ من الدار لم يطفأ، فلا يكلف أحداً من أفراد عائلته أو غيرهم من الموجودين إلى جانبه على سطح الدار للنزول إلى الطابق الأرضي لإطفاء ذلك المصباح مطلقاً، بل لا يُشعر الآخرين بأنّه قد آلى على نفسه أن ينزل ثلاث طبقات وسط ظلام دامس لأجل أن يطفى المصباح.

وهكذا إذا احتاج إلى قلم أو قرطاس ممّا هو موجود لديه في الطابق الثاني، فإنّه لم يكن يكلف أحداً لجلبهما إليه، حتى أعزّ الناس إليه كأبناء الشهيد المرحوم الحاج السيد مصطفى.. كان لا يكلفهم بذلك، بل إنّهُ يرقى السِّلْم نحو الطابق الثاني، ويجلب بنفسه ما يريد ويعود إلى مكانه.

لقد اتخذ الإمام حياة البساطة في كل شيء: في ملبسه، وفي غذائه، فكان يتحاشى تناول الأطعمة الدسمة، ويبتعد عن تعاطي الأغذية المقوية، وكانت أجود وجباته الغذائية المفضلة لديه في النجف الأشرف الخبز والجبن ولبّ الجوز فقط. وكذلك فإنه كان يفضل السير راجلاً في تنقلاته، وبالرغم من إلحاح أصدقائه ومحبيه الشديد واصرارهم على استعمال السيّارة في ذهابه وإيابه، فإنه كان يمتنع عن ذلك؛ هذا في الوقت الذي كان الكثير من السائرين على نهج الإمام في الكويت وفي أماكن أخرى على استعداد تام لإهدائه سيارة لا تكون تكاليفها من (الحقوق الشرعية).

ولقد عاش الإمام في النجف الأشرف مدة خمس عشرة سنة، وبالرغم من اشتداد درجات الحرارة التي قد تتجاوز الـ (50) درجة، فلم يدر بخلده يوماً أن يقصد الكوفة لاستئجار منزل فيها هرباً من حرارة جو النجف، مثلما هو شأن الغالبية العظمى من سكان النجف، وبالرغم من شدة الحرارة لم يصادف خلال مدة بقاءه هناك أن بات ليلة واحدة في الكوفة - من أجل الترفيه - أبداً.

ومن خصائص الإمام الأخرى: الثبات أمام الشدائد والمصائب؛ فلقد كان الملّعم والملهم في هذا المجال. فالإمام على الرغم من قوة عواطفه وأحاسيسه وحنانه فإنه كان يقف بحزم وقوة وبصلابة الجبل الشامخ في مواجهة المصائب والشدائد، فكان لأُمّته وأبناء شعبه نموذجاً وسلوكه درساً يعلمهم الكثير في مجالات الصبر والثبات والاستقامة والتحمل.

إنّ المصيبة المباغطة التي ألّمت بالأمة باستشهاد المجاهد المرحوم الحاج السيد مصطفى الخميني (أعلى الله مقامه) لم تكن بالحادث الهين البسيط، فلقد كانت كالصاعقة التي انهدت على رؤوس ذويه ومعارفه وأصدقائه؛ إذ كان الشهيد المرحوم مجتهداً عادلاً، ورعاً تقيّاً، وكان قد تربى على يدي الإمام نفسه. ولقد تحمّل الإمام القائد الكثير من الصعاب والأتعاب في سبيل

إعداده وتربيته، وكان يعقد عليه آمالاً كبيرة
في المستقبل، وبالرغم من كل ذلك، فإنه عندما
وصله نبأ استشهاده أبدى من الهدوء وتماسك
الأعصاب ما أعاد لكل المحيطين به صورة أخرى من
صور صبر النبي أيّوب (ع).

الفصل السادس

ذكريات عن العودة التاريخية من باريس
إلى طهران

سماحة الشيخ فردوسي پور

أفضل هدية

لقد أوجدت هجرة الإمام إلى باريس تحولاً عظيماً، حيث غيّرت - بشكل تام - جميع المفاهيم والاستنتاجات التي كانت لدى الغربيين عن الإسلام، والتي كانت تجعلهم يستهزئون بالمسلمين، وقد بلغ تأثير أخلاق الإمام وسلوكه في الغرب حداً جعل أحد العلماء يقول: "إننا لو أنفقنا ميزانية الحوزات العلمية لسنة كاملة في تربية المبلغين، وتأليف الكتب وترجمتها، وإرسالها إلى أوروبا؛ لما استطعنا تعريف الإسلام إلى العالم بالقدر الذي فعلته إقامة الإمام أربعة أشهر في باريس".

لقد كان سكان باريس يطالبون مؤسسة الإذاعة والتلفزيون أن تبين لهم ماهية هذا الإسلام الذي يقيم قائده في (نوفل لو شاتو) ويحرك - ببيان واحد - ستة وثلاثين مليوناً من الشعب الإيراني، ولم يكن لدينا - مع الأسف - فيلماً يعرّف الإسلام الحقيقي، فاضطر التلفزيون الفرنسي أن يعرض كل ليلة - ولمدة ربع ساعة - فيلم (محمد رسول الله) بدون صوت، ويعرض كل ليلة صورة الإمام في بداية نشرة الأخبار، مقرونة بالأخبار التي كانت تتعلق بسماعته.

وكُلِّما سرنا في طريق أو شارع كان الناس ينظرون إلينا نظرة عاطفية ملؤها العطف والأدب، وحينما كان الإمام يخرج لإقامة الصلاة كان الجيران يتجمعون لمشاهدة هذا الوجه النوراني والقائد الرباني، ويظهرون مشاعرهم الحارة والنبيلة.

وشيئاً فشيئاً بدأت إقامة الإمام تقترب من نهايتها، وحان موعد الهجرة المباركة؛ وعند

غروب الشمس، وحينما بدأ ضياؤها ينحسر بالتدريج عن أرض باريس رأيت فتاتين فرنسيّتين أمام الدار التي كان يقيم فيها الإمام تطلبان مقابلة الإمام، وحيث لم يكن ذلك ممكناً، فقد اعتذرت منهما فقالتا - وفي يد إحداهما قنينة زجاجية صغيرة تحوي كمية من التراب، وقد أحكم غطاؤها -: إن لم يكن بالإمكان لقاء الإمام فإن من عاداتنا إننا إذا تعلقنا كثيراً بأحد وحن وقت فراقنا له فإن أفضل هدية نقدمها له عند توديعه كمية من تراب وطننا، وهو أعز ما لدينا.

فأخذت القنينة وذهبت بها إلى الإمام لأتّهما طلبتا منّي ذلك، وطلبتا - أيضاً - أن أجلب لهما صورتين تحملان توقيع الإمام. فتقبّل الإمام القنينة بابتسامة جميلة، ووقع على الصورتين، ثم أعطيتهما للفرنسيّتين وفرحتا بالصورتين، وشكرتاني على ذلك.

هل ينتظرون وصول كورش إلى إيران؟!

كان قد مضى على فراق الإمام للشعب الإيراني أكثر من خمسة عشر عاماً، وكان أبناء الشعب في أشدّ الشوق والحنين لرؤية إمامهم وقائدهم. وكان من البديهي أنّ خبر وصول الإمام سوف يكون ذا صدى واسع بين أبناء الشعب الإيراني الذين كانوا يرددون: "أيها الإمام! عندما تصل فسوف نفرش لك الطريق من طهران إلى قم بالسجاد، وسوف نحمل سيارتك بأيدينا وعلى أكتافنا و...".

وفي تلك الأيام التي أعدّت فيها خطة حركة الإمام من باريس إلى طهران، نظمت (لجنة الاستقبال) منهج استقبال الإمام بشكل عظيم يليق بسماحته.

وفي اليوم الذي اتصلت بنا لجنة الاستقبال تليفونياً من طهران كنت أنا مسؤول المكتب والتلفون، وكان المتحدث من طهران الشهيد المظلوم آية الله الدكتور البهشتي فقال: "لقد قمنا بتنظيم برنامج لاستقبال الإمام، ولكي يعرف الإمام ذلك أخبره بما يلي: سنفرش المطار

ونزّينه بالمصابيح، وسنأخذه من المطار إلى (بهشت زهراء) بالهليكوبتر". فذهبتُ إلى الإمام وأخبرته بذلك، وبعد أن أصغى إليّ بدقّة كعادته - حيث يصغي للمقابل بدقّة ثم يجيب بكل صراحة وحسم - رفع رأسه قائلاً: "اذهب وقل لهؤلاء السادة "هل تريدون استقبال كورش في إيران؟! لا حاجة لهذه الأعمال أبداً، فإنّ أحد الطلبة كان قد خرج من إيران وهو يعود إليها الآن. إنني أريد أن أكون بين أبناء أمتي ولو سقطت بين الأقدام".

من باريس إلى طهران

منذ وصول الإمام إلى باريس والشرطة الفرنسية تراقب الأوضاع لحراسة الإمام، وخاصة بعد أن أقام في (نوفل لو شاتو) وبالأخص يوم أعلن الإمام أنّه سيغادر باريس إلى إيران ليكون بين أبناء شعبه، وليصيبه ما يصيبهم.

في الليلة التي تحرك الإمام في صبيحتها من باريس، جاء رئيس الشرطة مع أفرادهِ لتوديع الإمام، فشكرهم الإمام، وتليت كلمة الشكر ثم أعطيت لهم. فقال رئيس الشرطة جملة رائعة - من وجهة نظري - وهي: "لقد قابلنا ببركة وجودكم في نوفل لو شاتو شخصيّات لم نكن لنقابلها أبداً طيلة أعمارنا".

وحينما وصلنا طهران كانت الطائرة تحلّق في سماءها وقلوبنا جميعاً تنبض بسرعة. لقد جاءت لاستقبال الإمام جماهير طهران، وكذلك وصل أبناء المحافظات إلى المطار لاستقباله. وبينما كانت الطائرة تحلّق في الجو، سمعنا نداء باللغة الفرنسية، فانتاب الخوف جميع ركابها، والشخص الوحيد الذي لم يجد الخوف إليه سبيلاً هو الإمام.

وبعدها سألت أحد الاخوان عمّا جاء في النداء، فأجابني أنّه يقول: إنّ لجنة الاستقبال غير مستعدة الآن لاستقبالنا، ويجب علينا أن نحلّق في الجوّ مدة ربع ساعة أخرى.

ثمّ هبطت الطائرة.. وحينما حلّ الإمام في المطار أصبح بين الجماهير المحتشدة والغارقة

في بحر من المشاعر. وبعد ان انتهت مراسيم المطار أراد الإمام ركوب السيارة للذهاب إلى (بهشت زهرا) فقام عدد من ضباط القوة الجوية بمحاصرة الإمام وهم مسلحون، والسيارة تنتظر على مدرج المطار، وكان احتمال الخطر كبيراً، وكانوا يمنعون الناس من الاقتراب من السيارة، وقبل أن يركب الإمام السيارة توجه نحو الضباط قائلاً بصوت عال: "إلى متى تبقون نياماً أيها الضباط، استيقظوا، إن بختاير الخائن قد أراق ماء وجوهكم"؟!

وكان لكلمة الإمام هذه من الأثر بحيث إن جميعهم ابتعدوا عنه عدة أمتار مطأطئين رؤوسهم!

الفصل السابع

خصال رفيعة وسمات فاضلة

الإمام يسع الناس بأخلاقه

إنّ الأعمال الاختيارية التي تصدر من فاعل مختار، لها مظهر محسوس وجليّ للعيان؛ نراه بأعيننا أو نسمعه بآذاننا، ولكن الذي يهمننا من هذه الأعمال الاختيارية هو أساسها وجذرها الذي يصدر الفعل استناداً إليه، أي دافع الشخص ونيته التي يصدر العمل بموجبها، وقد أشير إلى هذه النية بكثرة في الروايات، وروي عن المعصومين قولهم: "نية المؤمن خير من عمله".

وعلى هذا الأساس، فإنني إذا أردت التحدث عن طريقة التعامل الاجتماعي لدى استاذي الكبير سماحة الإمام - قدس سره - فإني أستطيع فقط أن أوضح أعماله الخارجية المنظورة، ونحن لو تأملنا في أعماله التي تكشف عن دافع خاص وتعرفنا عن طريق ذلك نيته السامية في تعامله وأقواله، فعند ذاك يتوضح لنا أنه ذو روح عظيمة ومقام سام، يعيد إلى الأذهان - بعد مشاهدة أسلوبه - أسلوب الأنبياء والمعصومين.

ينقل التاريخ أنّ أمير المؤمنين (ع) كان يمتلك صفتين متناقضتين في الظاهر: الشدة وعدم الرحمة مع الأعداء، ومثال الرحمة والعطف أمام الضعفاء والعاجزين. ونحن نرى هاتين الصفتين المتناقضتين لدى الإمام الخميني أيضاً؛ فقد كان ينزعج كثيراً من النقائص الاجتماعية وتقصير المسؤولين، ويتصرف تجاه ذلك بشدة وصرامة دون أن يخشى أحداً، وكان المصداق الواقعي للآية: {ولا يخافون لومة لائم}.

لقد كان هذا الرجل العظيم - مع هذه الشدة والصلابة - إذا صادف أحد البائسين استولت عليه حالة من العطف والرحمة والشفقة.

كان من ضمن برنامج الإمام أن يحضر في كل ليلة مدة نصف ساعة في غرفة الاستقبال، حيث كانت تطرح بعض المسائل فيفضل ببيان بعض

الأمر، ليذهب بعد ذلك إلى زيارة حرم جده أمير المؤمنين (ع).

وفي إحدى الليالي جاء رجل فقير إلى الغرفة يطلب مساعدة، فلم يعامله بعض الذين كانوا مسؤولين عن إدارة المنزل معاملة حسنة، ولمّا كان الإمام يراقب الوضع عن بُعد فانه عندما نهض ليذهب للزيارة ووصل إلى الباب قال للمسؤول معترضاً بشدة: أي نوع من المعاملة هذا؟! فاعتذر المسؤول قائلاً: لقد جاء هذا الرجل بالأمس، وكذلك بالأمس الأول. فقال الإمام: دعه يأتي، إنّه محتاج وقد أجبرته حاجته على القدوم و:

صاحب الحاجة أعمى لا يرى إلا قضاها
فإما أن نقضي حاجته، أو نرضيه بقول ما، لا
تجرحوا مشاعر الناس.

لقد كان الإمام غاضباً لدرجة ظهرت عليه آثار الغضب والانزعاج، بسبب هذا التعامل مع صاحب الحاجة. وبهذا الشأن نفسه كان يذكرنا مراراً ويقول: كل من يأتي لأبد وأن تكون له حاجة، وقد يكون حلّ عقده ومشكلته هنا، ربّما لا تكون لدينا تلك الامكانيات التي تجعلنا نلبّي حاجة جميع الأفراد، ولكننا مسؤولون أن نعاملهم بشكل يرفع عنهم الانزعاج على الأقل.

وهنا يتذكر المرء قول أمير المؤمنين (ع):
(إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم، فسعوهم
بأخلاقكم).

الإمام ومشاكل الحياة

من القصص التي أتذكرها وتبيّن تعامل الإمام مع الناس، وكنت أنا أحد أطرافها، هي أنّه كان هناك شخص ساذج، يبدو أنّه كان غاضباً منّا لأنّه كان يتصور أنّنا نسبب إزعاجه، في الوقت الذي لم تكن لدينا أية نيّة لإزعاجه، وكان قد ذهب إلى الإمام وتحدث إليه بما شاء عني. وفي الليل طلبني الإمام وتكلّم معي بلطف قائلاً: إنّ هذا شخص بسيط، وتدور في ذهنه هذه الفكرة، وهو منزعج لذلك، فاذهب إليه وأخرج هذه الأوهام من ذهنه، لكي يخرج هذا الغيظ من قلبه ويرتاح. وبعد ذلك

شرح لي الإمام درساً مفصلاً حول ذلك، وكان - بحق - درساً مفيداً؛ وأرجوا من الله أن يوفقني للعمل بدرسه وتوجيهاته.

الشيء الآخر الذي أحب أن أوضحه هو أن الإمام كان يتعامل مع الناس - أثناء وجوده في النجف الأشرف طيلة خمسة عشر عاماً - معاملة لم تتغير أبداً، فكان يعامل الظالمين بشكل معين، ويعامل المحتاجين والمظلومين بشكل آخر. وقد توضح لنا بشكل قاطع أن لهذه المعاملة وهذا التصرف دافعاً ربانياً. وهنا نتذكر قول أمير المؤمنين (ع) الذي مضمونه: لم أقدم على عمل إلا ورأيت الله فيه وقبله وبعده.

إن أسلوب الإمام هذا ذو قيمة عالية، لأنه كان في أحلك الظروف - بالمقياس الإلهي - له القابلية على أن يسيطر على أعصابه بكل ما لهذا التعبير من معنى. وإن هذا الكلام يسهل قوله، ولكن تطبيقه والعمل به صعب جداً؛ إنه يتطلب شخصاً كأمر المؤمنين حينما طرح (عمرو بن عبدود) على الأرض وهم بقطع رأسه فبصق عمرو في وجهه، فما كان من الإمام إلا أن نهض وصبر قليلاً ثم عاد وقطع رأسه، وعندما سُئل: لماذا فعلت ذلك؟ قال ما معناه: صبرت حتى يذهب الغضب عني، حتى لا يكون قتلي إياه بسبب انتقام شخصي، وإنما يكون خالصاً لوجه الله تعالى.

وإن أردت الاستمرار في الحديث عن هذا الجانب فسوف احتاج إلى أيام وأشهر، إذ إن عظمة روح الإمام بدرجة من الوسع والرحابة بحيث لا تنحصر في قصة أو قصتين أو عشر قصص.

كان أعز الناس وأقربهم من الإمام ولده المرحوم آية الله الحاج السيد مصطفى؛ فقد كان بالإضافة إلى كونه ابنه، فهو صديقه في النضال، ومؤنسه في غربته، ونظيره في التفكير في حركته الثورية، وأحياناً طرفه المقابل في نقاش المسائل العلمية، والخلاصة؛ إنه كان سنداً كبيراً له.

لقد كان الإمام يحسب له حساباً كبيراً، ولم يكن ذلك بسبب العلاقة الأبوية، بل بحساب مستقبل الإسلام والمسلمين. وحينما فقد هذا الابن الذي

كان يحتاج الإمام إليه أكثر من غيره، لم يحدث أي تغيير - وإن يكن طفيفاً - في برامج الإمام وأموره التي كان يديرها.

إن مصيبة هائلة ومؤسفة كهذه تحدث ولا تتعطل دروس الإمام وبرامجه الاجتماعية والسياسية، بل إن صلابة الإمام وحزمه يزدادان بسبب ذلك. وإنني لن أنسى أنني كنت في تلك الأيام أنظر إلى وجهه فأرى أنه قد تجسد فيه ما ينقله التاريخ عن أبي عبد الله (عليه السلام)؛ حيث قال المؤرخون إنه كلما ازدادت عليه المصائب والبلايا واشتدت يوم عاشوراء أشرق وجهه. لقد شاهدنا أن الإمام الخميني كان - كجده - صامداً أمام مشاكل الحياة، بحيث إنني لم أشاهد طفلة عمري - الذي عاصرت فيه (25) من كبار مراجع الشيعة سواء في النجف، أو في إيران - معنويات كالتني عنده، وهذه الروح المعنوية هي التي جذبتني وبقيّة الإخوان إليه، وكنا نفخر أننا نعمل في خدمته.

التزام الإمام احترام العلماء

لابد لكل مسؤول أو مرجع من مواجهة بعض المشاكل في محيطه، ولربما قام بطرحها على مسامع بعض الأفراد، ومن الطبيعي أنه لو تحمل شخص ما مسؤولية إدارية واجتماعية فإنه سيواجه بعض العقبات في طريقه، مما يسبب له عدم الارتياح، وقد يقوم بطرح هذه المشاكل أحياناً في الجلسات الخاصة أو العامة وعلى الأفراد الآخرين. ولما كانت الحوزة العلمية في النجف الأشرف تفتقر إلى عامل الارتباط والتنسيق، وعلى المستوى المطلوب، لذا فقد كانت هذه العقبات تبرز في طريق الإمام سواء شاء أم أبى، طفلة نفيه في العراق والذي دام (15) عاماً.

ومما يؤسف له، أنه لو تحقق هذا التنسيق والارتباط بين أطراف الحوزة العلمية في قم المقدسة والنجف الأشرف من أول يوم، لما تأخر انتصار الثورة الإسلامية 15 عاماً. ومع وجود جميع هذه العقبات والموانع فقد كان الإمام يعتقد أنه يجب السعي - بكل جدٍ - لإقامة نظام العدل الإسلامي في المجتمع المسلم، ويؤمن بأن

الإسلام دين النظام والقانون، وليس كالمسيحية التي هي دين الكنيسة فقط؛ فالإسلام يهتم بشؤون السوق، والثقافة، والجيش والمصانع، والمزارع، وهكذا بجميع جوانب معيشة الناس، ويضع لها برامج ومناهج. وبسبب هذا الاعتقاد الذي كان يخالفه فيه الآخرون، لأسباب يعرفونها هم، فقد كانت تبرز بعض المشاكل في الساحة بصورة اضطرارية.

وإني أتذكر أنه حينما شرع الإمام في بحث مسألة ولاية الفقيه، عُقدت جلسات في الحوزة ضدّ هذا البحث، والخلاصة أن أرضية المشاكل كانت مهتأة من كل ناحية. وكان الإمام يبرز - أحياناً - بعض ردود الفعل تجاه ذلك، ولكنه - في الوقت نفسه - لم يتفوّه بكلمة واحدة حول هذه المواضيع ضد أحد، وقد وطّن نفسه على الصبر في مثل هذه المواقع لوجه الله تعالى. وكان (قدس سره) ثابت الجنان، مسيطراً على أعصابه؛ وأعتقد أن هذا الصبر وعدم انجرار الإمام لردود فعل كان ذا جذر إلهي، فإنه كان يمكن على الأقل أن يذكر ولو مرّة واحدة اسم أحد ويبين انزعاجه منه لبعض المقربين من سماحته.

وفوق ذلك أنّه بعد سنة 1390 هجرية شهدت حوزة النجف الأشرف حوادث أدت إلى تعليقات وأحاديث دارت في بعض مجالس العلماء، ولكن الإمام أوصانا في تلك الأيام بأنّه لا يسمح لأحد أن يتفوّه بكلمة واحدة حول الآخرين في منزله بأيّ حال من الأحوال.

وفي آخر ليلة قضاها الإمام في النجف الأشرف، ذهب إلى ليله لآخذ منه بعض التوجيهات، وكانت حالة من التأثر قد انتابتني، إذ علمت أنه ينوي مغادرة النجف بعد أن كان ملجئاً وملأذي بعد الله وحرم أمير المؤمنين (ع) (وكنيت أردّد): إلهي ماذا سيحدث في الليلة القادمة والليالي الأخرى التي سنحرم فيها من وجود الإمام في النجف؟! كانت أمامنا ألف مسألة غامضة، وكانت العبرة قد خنقنتني، وأنا أقول لسماحته: سيدنا ألا يمكن أن تصرف النظر عن هذا السفر؟ إنك تسافر الآن إلى الكويت، وهو ليس مكاناً آمناً، ولا سورية

كذلك. وإيران وضعها معروف تحت حكم الشاه،
فإلى أين تريد الذهاب؟!
فقال الإمام: إن قصتنا مع هؤلاء القوم انتهت
في شهر رمضان، حيث جاؤوا إليّ عدة مرات، ولن
يسمحوا لي - بعد الآن - أن أبقى هنا. فأنا
مضطر لمغادرة العراق. ثم: لقد كنت هنا
مستأنساً بزيارة حرم أمير المؤمنين (ع).
وحقاً كان دائماً على زيارة الحرم المطهر كل
ليلة وعلى زيارة أبي عبد الله (ع)، في أيام
زيارته لكربلاء المقدسة.

صبر الإمام وبرنامجه العبادي

اننا نقرأ في زيارة الأئمة: "وأشهد أنّك حي
ترزق؛ تسمع كلامي وترد سلامي". وهكذا كان الإمام
حين يزور العتبات المقدسة وقبور المعصومين
الطاهرة وكأنه يرى الإمام (المعصوم) ماثلاً أمام
عينيه. وقد قال الإمام في آخر ليلة (في النجف)
وبكل حسرة: لقد كنت مستأنساً هنا بالحرم
المطهر، ولكن الله وحده يعلم كم عانيت في هذه
الديار". وذكر - كناية - بعض الذي تحمله خلال
تلك المدة. أجل فإن الله وحده يعلم كم وضعوا في
طريقه العقبات ليتراجع عن تحركه، مما يذكر
بجده العظيم أمير المؤمنين (ع) حينما كان
يروى معاناته بعد وفاة رسول الله (ص). لقد سعت
الدنيا كلها لكي ينثني علي (ع) عن عزمه فلم
تفلح في ذلك؛ وهكذا يتحمل ابنه جميع المشاكل
والمصاعب والنفي في سبيل الله، وفي سبيل خدمة
عباده، ولم يعاتب في ذلك أحداً. لقد كنا نقرأ
في تاريخ الأنبياء والمعصومين ثم شاهدناه
مجسداً في سلوك الإمام بأمّ أعيننا.

وأما التزامه تلاوة القرآن وقراءة الأدعية
والعبادة فهو سمة مهمة في سلوكه، ولا يمكن لأحد
أن يدرك هذا السلوك ما لم يشاهده عن كثب. إن
هذا الرجل التاريخي العجيب والنابغة كان حين
يبحث المسائل العلمية يحقق فيها بشكل واسع،
وكانه غارق في العلم ولا علاقة له بشيء غيره،
وعندما كان يدور نقاش سياسي كان يبدي وجهة
نظره من جميع الأبعاد وكأنه قضى عمره في الأمور

السياسية، وكان في عبادته عابداً من الدرجة الأولى، وهو يقف في المحراب ويناجي ربه وكأنه ترك الحياة كلياً، وشغل نفسه بالعبادة. والخلاصة إنه كان في كل مجال إنساناً كاملاً.

لقد وردنا من الأئمة أنه ينبغي للمؤمن أن يقسم أوقاته إلى أقسام؛ فقسم "يناجي به ربه" وقسم لتأمين المعيشة... وهكذا كان الإمام، كان لديه برنامج منظم لحياته، فحتى عبادته تتم وفق نظام معين؛ فهناك وقت لتلاوة القرآن، ووقت لقراءة الدعاء، وهذا النظام مرتب بشكل لا يتخلل أبداً. لقد كان يتقيد بالعبادة لدرجة ربما جعلت بعض الأشخاص يتمتم مع نفسه: كيف يمكن - يا ترى - لشخص يريد إسقاط نظام معين وإقامة نظام العدل الإسلامي الذي يبني العالم ويجلب السعادة لجميع البشرية مكانه في المجتمع؛ ومع كل هذه المشاكل السياسية، كيف يمكن له أن يصرف جزءاً كبيراً من وقته للعبادة وتلاوة القرآن وقراءة الأدعية.

مرة أخرى نتذكر هنا أمير المؤمنين (ع) حيث يروى أنه في حرب صفين، ولما حان وقت الصلاة، قال له بعض الأصحاب: لقد حان وقت الصلاة.. وعلى الفور استعد الإمام للصلاة، فقال له أحدهم: إنك مشغول بالحرب الآن! فأجابه الإمام بما معناه: نقاتل من أجلها ونتركها؟!

برنامج الزيارة والبحث العلمي لدى الإمام

من اللافت للانتباه ان زيارة الإمام الخميني لحرم أمير المؤمنين (ع) تتم بكل أدب، حيث كان يقرأ إذن الدخول ثم يدخل الحرم من جهة أسفل القدم (قدم أمير المؤمنين)، وكان يلزم نفسه أن لا يمر من أعلى الرأس الشريف لأمير المؤمنين (كما أوصت به الروايات)، وحين يصل أمام الضريح الطاهر يقرأ زيارة (أمين الله) أو أية زيارة أخرى بكل اخلاص، ثم يعود إلى ناحية أسفل القدم، ويصلي صلاة الزيارة ويقرأ الدعاء جالساً، ثم يصلي ركعتين فيخرج بعدها من الحرم بكل اخلاص ومراعاة للآداب.

وكان له أيام الزيارة وأيام الجمع برنامج منتظم وخاص للدعاء والصلاة وتلاوة القرآن، بحيث إنه لو كان هناك شخص لا عمل له إلا هذا لم يستطع الإتيان بعبادته بهذا النظام.

أما برنامج الإمام في البحث العلمي فهو عجيب ومدهش؛ فطوال هذه المدة - وهي تناهز نيفاً وثلاثين سنة - والتي تتلمذت فيها على الكثير من الأساتذة والمدرسين في حوزتي قم والنجف، وطالعت فيها كتب المؤلفين إلى الحد الذي وفقت إليه وحسبما توفر لي الوقت، واطلعت بنسبة معينة على وجهات نظر المحققين، وبعد البحث في كل ذلك، وجدت أن كل واحد من المحققين اتخذ بعداً واحداً من وجهات النظر العلمية؛ وأهل الخبرة الذين يراجعون كتب فقهاء الشيعة الكبار يدركون جيداً ما أريد قوله الآن.

لقد كان الإمام حين يدخل المسائل العلمية والتحقيقية يبحث جميع أبعاد المسألة بدقة وبشكل وافٍ، بحيث إن الذي كان يجلس مستمعاً لأقواله العلمية يجده غنياً عن مراجعة كتب الآخرين وأقوالهم، وكان يبحث الموضوع بدرجة لا تبقى معها أية نقطة مبهمة فيه. ويمكن العثور على نموذج لذلك في بحثين علميين وقيمين جداً طرحهما في النجف الأشرف، أولهما بحث البيع الذي بحثه من بداية موضوع (خيارات البيع) إلى آخره، والآخر بحث (الخلل في الصلاة)، وقد طبع كتابه هذا - والحمد لله - تحت إشرافي وأخي العزيز حجة الإسلام والمسلمين خاتمي، وكان الكتاب يختص بدورة المكاسب وبحث الخلل، ثم وضع في متناول الأيدي. وخير شاهد علي صدق كلامي هو هذا الكتاب الذي إن طالعتَه تجد أنه أدى حق الموضوع بشكل تام.

وهنا يجب أن أقول إن شخصاً كالإمام الخميني، بهذا المقام العلمي وذلك البعد في النظر السياسي والتفكير البعيد الأمد، يحق له أن يقول: إني نائب الإمام ولي الأمر (سلام الله عليه)، وحقاً يجب أن يكون نائب إمام الزمان شخصاً ممتازاً كالإمام، يمكنه تجسيد خصوصيات ولي الأمر بين المجتمع بأسلوبه وقوله وتفكيره. وعلى هذا

الأساس يمكننا اعتبار الإمام - بهذه الخصوصيات
- نائب إمام الزمان حقاً.

محتويات الكتاب

1	المقدمة
2	الفصل الأول: لمحّة عن عبادة الإمام ومؤلفاته .
2	عبادة الإمام وعرفانه
3	مؤلفات الإمام
8	شكل الحكومة الإسلامية
10	قراءة في "كشف الأسرار"
12	نظرة في كتاب الحكومة الإسلامية
16	اقرأوا وطبقوا
20	الفصل الثاني: الإمام قدوة
20	تمهيد
20	القدوة ودورها في عملية البناء
21	منهج القرآن في التغيير الاجتماعي
22	عوامل مؤثرة على إرادة الإنسان
24	فلسفة القدوة في منهج التغيير الاجتماعي ...
31	القدوة الصالحة والقدوة الفاسدة
	تأثير الحب والموقع الاجتماعي للقدوة الصالحة
33	
35	مواضع القدوة في شخصية الإمام (قدس سره) ...
36	روح الله بين رعية الله
38	الزعيم الديني في منهج الفرد العادي
	الفصل الثالث: رباطة الجأش والسماحة عند
39	الإمام
39	سماحة الإمام من سماحة الإسلام
	الدقة في الموعد وتفقد الآخرين في أشد الظروف
41	
46	الفصل الرابع: حكمة الإمام وثباته
46	حكمة الإمام
47	الوضوح والثبات
	الفصل الخامس: الإمام قدوة في الوعي والعلم
50	والسياسة
50	جامعية علم الإمام
52	إحاطته بالوضع السياسي
54	إرادة وتصميم

55	تشخيص نقاط ضعف العدو وضربها
57	بصيرة الإمام النفاذة
	حركتا "سياهكل" و"المنافقين" كيف دحرهما
59	الإمام
61	القدوة في التهجد والعبادة
63	القدوة في التواضع والزهد
65	القدوة في تركيز الذهن
66	القدوة للعابدين العاملين
68	الإمام والتواضع ونكران الذات
70	الإمام نموذج في التقوى والورع
71	في التواضع وتجنب المظاهر
73	سعادة الإمام بالاختلاط بزوار الأئمة (ع)
74	الإمام في الاعتماد على النفس والجَلَد
	الفصل السادس: ذكريات عن العودة التاريخية من
77	باريس إلى طهران
77	أفضل هدية
78	هل ينتظرون وصول كورش إلى إيران؟!
79	من باريس إلى طهران
81	الفصل السابع: خصال رفيعة وسمات فاضلة
81	الإمام يسع الناس بأخلاقه
82	الإمام ومشاكل الحياة
84	التزام الإمام احترام العلماء
86	صبر الإمام وبرنامج العبادي
87	برنامج الزيارة والبحث العلمي لدى الإمام ..
90	محتويات الكتاب